المكتبة اللغوية
- ٥ -

المحظورات اللغوية

كتب ممنوعة ونادرة

تأليف
د. كريم زكي حسام الدين
آداب بنها

الطبعة الأولى
١٩٨٥

مكتبة الأنجلو المصرية

الإهداء

إلى الأستاذ الدكتور وجدى راغب

كتب ممنوعة ونادرة

إلى الإنسان وكم يعز وجود الإنسان فى هذا الزمان ،
تحية متواضعة ، عسى أن يكون فيها بعض الشكر والعرفان ؟

مقدمة

إن الكلمات لا تنحصر فقط داخل الكتب والمعاجم ، وإنما تتفاعل خارجها وتجرى على ألسنة المتكلمين ، كما أن لهذه الكلمات من النفوذ والسلطان على نفوسنا مايجعلنا ننطق ببعضها طلبا للقوة والحماية ، ونتجنب بعضها الآخر دفعا للأذى والضرر ، وكم من كلمة أسعدت هذا ، وكم من كلمة أشقت ذاك ، وهل من قبيل المصادفة أن تشتق الكلمة والكلم بمعنى الجرح من مادة واحدة فى معجم العربية ؟ ! ، وهل من قبيل المصادفة أن يقال : ومن الكلام ماجرح ؟ ! .

كتب ممنوعة ونادرة

انطلاقا من هذا التصور تعالج هذه الدراسة ظاهرة « المحظورات اللغوية » بمعنى الممنوع والمقبول من الكلام ، وهى ظاهرة ذات شقين :

يشمل الشق الأول المحظور اللغوى Linguistic taboo

أو الكلمات المحظورة tabooed words

ويشمل الشق الثانى تحسين اللفظ Euphemisme

أو الكلمات المحسنة Euphemistic Words

وكما يرى القارىء أن هذه الظاهرة مازالت حقلا بكرا ، ومنطقة

مهجورة ، لم تخط إليها قدم باحث حتى الآن فيما نعلم ، بالرغم من أن لها وجوداً فى تراثنا ، وقد توقف عندها من قريب أو بعيد بعض اللغويين والبلاغيين فى مصنفاتهم العامة والخاصة .

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مفهوم هذه الظاهرة وجوانبها فى التراث فى ضوء علم اللغة الحديث، وقد اعتمدنا فى تأصيلها إلى جانب نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف على مؤلفين هامين هما :

الكناية والتعريض : لأبى منصور الثعالبى ت ٤٣٠ .

المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء : لأبى العباس ، أحمد بن محمد الجرجانى ت ٤٨٢ .

تقع الدراسة فى بابين ، ويشتمل كل باب على أربعة فصول .

يتناول الباب الأول من الدراسة فى أربعـــة فصول مفهوم ظاهرة « المحظورات اللغوية » بشقيها : الكلمات المحظورة ، والكلمات المحسنة من خلال الجانبين الإجتماعى واللغوى لدى الجماعة اللغوية الأولى فى شبه الجزيرة العربية .

يعرض الفصل الأول لمصطلحى المحظور اللغوى وتحسين اللفظ ومفهوم كل منهما ودلالته عند القدماء والمحدثين .

يعالج الفصل الثانى المحظور من الأشياء والأعمال عند الجاهليين الذين يمثلون الجماعة اللغوية الأولى للغة العربية .

كتب ممنوعة ونادرة

يتناول الفصل الثالث المحظورات من الكلام ويوضح تأثير الكلمات وسلطانها على نفوس الناطقين بها .

يبين الفصل الرابع والأخير من الباب الأول الدوافع أو الأسباب التى تدفع المتكلم إلى تحسين اللفظ ، كما يبين أيضا الوسائل أو الإجراءات التى يلجأ إليها لتحقيق ذلك .

أما الباب الثانى من الدراسة فيتناول المجالات الدلالية للمحظور والمحسن من الألفاظ فى ضوء كتابى الكناية للثعالبى ، والمنتخب للجرجانى .

يتناول الفصل الأول المجال الدلالى الخاص بالمفارقات اللغوية التى تشير إلى المحظور والمحسن من الألفاظ .

يعالج الفصل الثانى المجال الدلالى الخاص بالمعتقدات والعادات الإجتماعية التى تحرم المحظور وتقبل المحسن من الألفاظ .

يعرض الفصل الثالث للمجال الدلالى الخاص بالألفاظ المحظورة والمحسنة التى تشير إلى المرض والموت وما يتصل بهما .

يبين الفصل الرابع والأخير من الباب الثانى المجال الدلالى الخاص بالمحظور والمحسن من الألفاظ التى تعبر عن الأمور الجنسية .

وبذلك تكتمل جوانب هذه الدراسة التى اهتمت بالكشف عن ظاهرة المحظورات اللغوية ، وتأصيلها فى تراثنا القديم لأول مرة فيما نعلم ، وحسبى بهذا العمل أنى بذلت جهداً متواضعاً لخدمة لغة القرآن .

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مصر الجديدة فى ٩ رمضان ١٤٠٥

٣٠ مايو ١٩٨٥

كريم حسام الدين

كتب ممنوعة ونادرة

الباب الأول

المحظورات اللغوية

مفهومها ودوافعها

الفصل الأول

المحظور اللغوى وتحسين اللفظ

المصطلح مفهومه ودلالته

إن اللغة ضرب من السلوك ، بل هى من مظاهر السلوك الإنسانى والاجتماعى والثقافى للجماعة اللغوية ، وكما يقول لى ورف Lee whorf أنها تعكس تصورات وأفكار الجماعة اللغوية عن العالم المحيط بها [١] ، ولهذا فإن اللغة تختلف فى نفس الوقت من مجتمع إلى آخر .

كتب ممنوعة ونادرة

وإذا كان علماء الانثربولوجيا والاجتماع يقولون بأن اللغة شىء أكبر مما نجده فى المعاجم والكتب ، وأن دراستها تحتاج إلى دراسة عميقة للتعرف على الأنماط الثقافية والحضارية للجماعة اللغوية من جهة ، وللوقوف بصورة دقيقة على كثير من ظواهرها المختلفة من جهة أخرى [٢] ، فإن تناولنا لظاهرة « المحظورات اللغوية » Linguistic taboos [٣] التى نعرفها

---

(١) انظر A Dictionary of Euphemisms, p. 2, 1983

(٢) انظر د . أحمد أبو زيد عالم الفكر ص ٢٥ المجلد ٢ العدد ١ ١٩٧١

(٣) اختلف الباحثون فى ترجمة مصطلح Taboo إلى اللغة العربية ، =

المجتمعات اللغوية على اختلاف ثقافاتها يتسع من هـذا التصور .

تتميز هذه الظاهرة اللغوية التى نتناولها بالدراسة والتحليل بأنها ذات شقين :

يشمل الشق الأول : المحظور اللغوى Linguistic taboo

ويشمل الشق الثانى : تحسين اللفظ Euphemisme

وتمثل هذه الظاهرة كما يقول أولمان Ullmann أهمية فى الدرس اللغوى لأنها تعد سبباً من أسباب التغيرات الدلالية Semantic changes [1] ، كما يذكر جيرو Guiraud أن هذه الظاهرة اللغوية قد انتقلت من اللغات المعمورة إلى لغاتنا الحديثة ، وتركت آثاراً واضحة فيها [2] .

= فقد اختار الدكتور محمود السعران مصطلح الكلام الحرام أو الكلام غير اللائق ترجمة للمصطلح .
انظر اللغة والمجتمع ص ١٢٩ ط ٢ الاسكندرية ١٩٦٢ .
وترجم الدكتور كمال بشر ، المصطلح باللامساس بمعنى ما يحظر استعماله من الكلمات . انظر دور الكلمة فى اللغة ص ١٧٧ ط ١ القاهرة ١٩٦٢.
انظر أيضا د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص ٢٢٩ ، ٣٦٦ ط الكويت ١٩٨١ د . محمد على الخولى : معجم علم اللغة النظرى ط بيروت ١٩٨٣

(١) انظر Ullman : Semantic : An introduction to the science of meaning, p. 201 Oxford 1981.

(٢) انظر Guiraud : La semantique, p. 61 que sais-je, No. 655 Paris 1975.

عرفت اللغات الأوربية مصطلح الـ Taboo فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، فى الفترة التى اكتشف فيها الأوربيون جزر الأرخبيل ، ويعود الفضل فى استخدامه إلى كابتن كوك Coptain Cook ١٧٧٠ الذى أدخل هذه الكلمة إلى اللغة الإنجليزية لأول مرة بمعنى الشيء الممنوع Forbidden وانتقلت منها إلى اللغات الأوربية التى استعملت هذا المصطلح لتعبير عن ظاهرة التحريم والمنع [1] .

ويتضح من هذا أن المصطلح ليس مصطلحاً لاتينيا أو يونانيا كما جرت العادة بالنسبة للمصطلحات المختلفة فى اللغات الأوربية الحديثة ، وإنما هو مصطلح مشتق من كلمة بولونيزية الأصل ، ويعتبر هذا المصطلح من الكلمات القليلة التى انتقلت إلى اللغات الأوربية من اللغات البدائية المغمورة [1] .

كتب ممنوعة ونادرة

يذهب الانثروبولوجى المشهور جيمس فريزر James Frazer إلى أن كلمة Taboo فى اللغة البولونيزية مكونة من مقطعين « ta » بمعنى to mark أى يسم أو يعلم ، و« bu » بمعنى adverb of intensity أى ظرف للتأكيد ، وعلى ذلك تعنى الدلالة الحرفية للكلمة marked thoroughly أى الشيء الموسوم

(١) انظر Steiner : Taboo, p. 31, London 1955.
Ullman : Semantics, p. 204

(٢) انظر Webster's New World Dictionary
Robert, Dictionnaire de la Langue Française.
Hartman, A Dictionary of Language & Linguistics
Marouzeu, Lexique de La Terminologie Linguitique

أو المعلم تماما (بدقة) وذلك لأن الأشياء والأماكن الممنوعة معاملة بطريقة خاصة يعرفها كل شخص[(١)] .

تشتمل ظاهرة التحريم أو المنع كما يقول شتيفر Steiner على أربعة جوانب :

الأشياء	Things	التى يجب أن يتجنبها الإنسان
الأماكن	Places	التى يجب أن يبتعد عنها
الأفعال	Actions	التى يجب ألا يقوم بها
الكلمات	Words	التى لا يجب أن ينطق بها[(٢)]

لقد كان العالم النفسى المشهور فرويد Freud من أوائل من تناولوا هذه الظاهرة بالتعريف فى كتابه « الطوطم والتابو » Totem & Taboo قائلا « .. إن دلالة كلمة taboo تتشعب فى اتجاهين متضادين ، فهى تعنى من جهة شيئا مقدسا منزها ، كما تعنى من جهة أخرى شيئا غريبا ممنوعا وغير نظيف ، وتشير كلمة Noa البولونيزية إلى عكس ما تدل عليه كلمة Taboo فهى تعنى شيئا عاديا سهل التداول بصفة عامة ، ويعبر مصطلح الـ taboo أساسا عن المحرمات prohititions والمحظورات Restrictions ، كما أن خلطها هو مقدس Holy بما هو مخيف dread يعبر عنه غالبا بكلمة Taboo[(٣)] .

(١) انظر ص ٢٥ من الدراسة Steiner, Taboo, p. 33

(٢) انظر Ibid., p. 97

(٣) Freud, Totem & Taboo, p. 37 Pelican Books London, 1940.

كتب ممنوعة ونادرة

وكما وجدنا أن مصطلح الـ Taboo يتكون من مقطعين ، وأن هذه الكلمة تنتمى إلى لغة بدائية مغمورة وهى البولونيزية ، فإننا نجد مصطلح الـ Euphemism ينتمى إلى لغة قديمة مشهورة هى اليونانية ، كأنه يتكون من مقطعين أيضا Eu بمعنى well ، أى حسن ، و Phémé بمعنى Speaking أى كلام ، وعلى ذلك تعنى الدلالة الحرفية للمصطلح الكلام الحسن Well speaking[(١)] .

وإذا حاولنا أن نبحث عن مقابل عربى لهذا المصطلح فى أصله اليونانى أو فى ترجمته للغات الأوربية الحديثة فإننا لن نجد أفضل من المصطلح الذى استعمله اللغويون المسلمون وسبقوا به اللغويين المحدثين بمئات السنين ، ونعنى بذلك مصطلح « تحسين اللفظ[(٢)] » .

(١) والكلمة اليونانية هى [eu = good + eupheme = sound]
أى to use words of good sounds or omen
انظر A Dictionary of euphemisms, p. 2
Webester's New World Dictionary
Robert, Dictionaire de la Langue Française
Hartman, A Dictionary of Language & Linguistics
Marouzeau, Lexique de la Terminologie Linguistique

(٢) اختلف الباحثون المحدثون فى ترجمة المصطلح إلى العربية فهو عند الدكتور كمال بشر « حسن التعبير » بمعنى استبدال كلمة بأخرى مع كل شىء مقدس أو خطير أو مخيف ، انظر دور الكلمة فى اللغة ص ١٧٧ وهو عند الدكتور أحمد عمر « التلطف » بمعنى إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة أو أكثر قبولا أنظر علم الدلالة ص ٢٤٠ =
(المحظورات اللغوية)

استعمل ابن فارس ت ٣٨٥ مصطلح تحسين اللفظ فى كتابه الصاحبى فى معرض حديثه عن الكناية قائلا « .. أنه يكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ أو إكراما للمذكور ، وذلك كقوله جل ثناؤه « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا[١] » ، قالوا إن الجلود فى هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان .

وكذلك قوله جل ثناؤه « ولكن لا تواعدوهن سرا[٢] » إنه النكاح .

وكذلك « أو جاء أحدكم من الغائط[٣] » ، والغائط المطمئن من الأرض ، كل هذا « تحسين اللفظ[٤] » .

كما نجد الجرجانى ت ٤٨٢ يستعمل نفس المصطلح أيضا فى أكثر من موضع فى كتابه « المنتخب من كنايات الأدباء » ومثال ذلك قوله « روى أن رجلا قال لشعبى ماتقول فيمن قبل أم امرأته ؟ ، فقال : أعن صبوح

= يترجم الدكتور محمد على الخولى المصطلح « بلطف التعبير » أى استبدال تعبير غير حاد بآخر أكثر مقبولية منه انظر معجم علم اللغة النظرى

لاحظ أيضا التعبير فى العامية المصرية الذى يقال للذى يفحش فى كلامه « حسن ملافظك » .

(١) فصلت / ٢٠

(٢) البقرة/ ٢٣٥

(٣) النساء/ ٤٣

(٤) الصاحبى فى فقه اللغة ٤٣٩

ترقق[١] ؟ ! ، حرمت عليه امرأته . أراد أعن فجور تكنى ؟ ، فكان السؤال كناية ، وجواب الشعبى إشارة ، تحسينا للفظ[٢] » .

كما يقول فى سياق آخر « .. ومما ورد فى تحسين اللفظ ماحكى أن المنصور كان فى البستان ومعه الربيع فقال ماهذه الشجرة ؟ قال : شجرة الوفاق يا أمير المؤمنين ، وكانت شجرة الخلاف[٣] » .

وإلى جانب مصطلح تحسين اللفظ الذى استعمله ابن فارس والجرجانى ، نجد مصطلحات أخرى استعملها القدماء مثل التعريض ، والتلطف ، والكناية .

كتب ممنوعة ونادرة

استعمل الثعالبى ت ٤٣٠ مصطلح « التعريض » مصاحبا لمصطلح الكناية عنوانا لكتابه الذى يشير فى مقدمته إلى أنه ترجمة بكتاب الكناية والتعريض[٤] .

---

(١) يقال هذا التعبير لمن يكنى بكلامه ولا يصرح ، أو لمن يوجب عليك مالا يجب ، وأصله أن رجلا نزل بآخر عشاء فغبقه لبنا ، فلما روى طفق يحدث مضيفه بكلام قال خلاله : إذا كان غدا اصطبحنا وفعلنا كذا وكذا ، يريد إيجاب الصبوح عليه ، ففطن المضيف لغرض الضيف فقال له : أعن صبوح ترقق .

انظر اللسان رقق وكذا كتابنا التعبير الاصطلاحى ص ١٣١

(٢) انظر المنتخب ص ٦

(٣) نفس المصدر ص ٥٤

(٤) الكناية والتعريض ص ٢

كما يذكر فى آخر الكتاب الدوافع وراء استعمال المتكلم للتعريض قائلا « .. إن العرب تستعمل التعريض فى كلامها فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف فى كل وجه ، يقولون : فلان لايحسن التعريض إلا ثلبا ، وقد جعله الله فى خطبة النساء جائزا فقال « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم[1] » ، ولم يجز التصريح . والتعريض فى الخطبة : أن يقول للمرأة : والله إنك لجميلة ، وإنك لشابة ، ولعل الله أن يرزقك بعلا صالحا ، وأن النساء لمن حاجتى ، وأشباهه من الكلام[2][3] » .

أما المصطلح الثانى وهو « التلطف » الذى استعمله بعض المحدثين فقد استعمله الثعالبى أيضا بصيغة الفعل فى الفصل الخاص بالكناية عن عورة المرأة فى معرض كلامه فى تفسير قول الشاعر .

وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه أو عرسه لكريهة لم يغضب

(١) البقرة / ٢٣٥

(٢) أى أن المتحدث يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرح به ، والتعريض خلاف التصريح ، أصله من تعريض الشىء أو توسيمه ، عرض الشىء : أبداه . والمعراض والتعريض التورية بالشىء ، والجمع معاريض وتعريضات ، وفى حديث عمر : أما فى المعاريض مايغنى المسلم عن الكذب انظر اللسان عرض .

(٣) الكناية والتعريض ص ٥٦ — ٥٧ ، انظر أيضا العسكرى الصناعتين ص ٤٠٧ .

كتب ممنوعة ونادرة

فيقول « انظر كيف لطف هذا الشاعر بحذقه للكناية عن فرج الأم بقوله مطلب أنفه ، ومعنى البيت : أن الرجل متى لم يحم فرج أمه أو امرأته لم يغضب من شىء يؤتى إليه بعد ذلك[1] » .

كما يستعمل الثعالبى الاسم بصيغة الجمع لطائف فى موضع آخر قائلا « ومن لطائف الأطباء كنايتهم عن حشو الأمعاء بالطبيعة والبراز ، وعن سيلان الطبيعة الخلفة ، وعن القيام لها الاختلاف[1] » .

كما يذكر قوله تعالى فى سورة يوسف « هى التى راودتنى عن نفسى[2] » . قائلا « .. فسبحان الله ما أجمع كلامه للمحاسن واللطائف[4] » .

ويأتى بقصة امرأة رفاعة القرظى التى طلقها زوجها طلاقا بائنا وتزوجت من بعده رجلا غيره ، وأرادت أن تعود لزوجها الأول ، واشتكت ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم قائلة : « إن الذى معه كهدبة الثوب ، فقال صلى الله عليه وسلم : أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة ؟ ! ، لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك .

(١) الكناية والتعريض ص ٧ ،

(٢) نفس المصدر ص ٢٩

(٣) يوسف / ٢٦

(٤) الكناية والتعريض ص ١٠

يعلق الثعالبى على ذلك بقوله « وانظر إلى لطافة هـذا الـكلام(١) وحسن كنايته عن العورة والنـكاح(٢) » .

(١) التلطف فى العمل أو الـكلام الرفق فيه ، لطف فلان بفلان رفق به ، وقيل اللطيف من الـكلام مادق وخفى معناه .

(٢) الـكناية والتعريض ص ٨ انظر اللسان عسل .
وكتابنا التعبير الإصطلاحى ص ١٦١ ط الأنجلو المصرية

الفصل الثانى

المحظور من الأشياء والأفعال

تعود ظاهرة المحرمات أو المحظورات أو الممنوعات إلى طائفة من العادات الإجتماعية والمعتقدات الدينية للجماعة اللغوية حيث تتضمن هذه الظاهرة فكرة القداسة sacred إذ كل ماهو مقدس يعتبر موضوعاً للتبجيل والاحترام .

لقد أشار القرآن الـكريم إلى عادات الجاهليين ومعتقداتهم فى تحريم بعض الحيوانات فى أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى « وقالوا : هذه أنعام وحرث حجر(١) لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون ، وقالوا : ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم(٢) » .

كتب ممنوعة ونادرة

(١) تعرف العربية كلمات التحريم والحظار والمنع والحجر بمعنى المنع فى قولك حجرت عليه أى منعته ، والحجر بمعنى التحريم ، كان الرجل يلقى الذى يخافه فى الشهر الحرام فيقول حجراً محجوراً أى حراما محرما عليك فى هذا الشهر فلا يدنو منه .
انظر اللسان حجر

(٢) الأنعام / ١٣٨ ، ١٣٩
انظر أيضا القرطبى ٧/٩٤ ، ٨/٤٤ .

يبين هذا النص القرآني أن هؤلاء الجاهليين قد اعتادوا تحريم بعض ذروعهم فلا يأكلها إلا بعض الأفراد المعينين وهم خدمة الأوثان والرجال دون النساء، كما حرموا ظهور الإبل ولم يذكروا اسم الله عليها عند ذبحها بل كانوا يذكرون أسماء أصنامهم، وحرموا مافي بطون بعضها من الاجن الذي جعلوه حلالا للذكور حراما على الإناث . وكذلك أشار النص القرآني إلى تحريمهم مايولد حيا منها على الأناث، أما مايولد ميتا فهو للذكور والإناث سواء .

وما أجمله هذا النص القرآني نجده مفصلا في موضع آخر في قوله تعالى « ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون[1] ».

أشارت هذه الآية الكريمة بالتفصيل إلى الحالات الخاصة التي حرم فيها الجاهليون بعض الحيوانات من الإبل والشاه وهي :

البحيرة :

أي الناقة التي انتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا، وكانوا لايستعملونها للركوب أو حمل الأشياء، ومنعوا ذبحها وتركوها للرعي.

وقيل أنه يحرم لحمها على النساء دون الرجال وقد سميت بذلك لأنهم

(١) المائدة / ١٠٣

بحروا أذنها أي شقوها نصفين[1] لتعرف بذلك[2] وتترك للرعي .

السـائبة :

هي الناقة التي كانت تسيب لنذر أو نحوه، وكان من عاداتهم إذا قدم رجل من سفر بعيد، أو برىء من علة، أو نجته دابته من مشقة أو حرب قال : ناقتي سائبة[3] أي تسيب فلا ينتفع بظهورها، ولا تمنع من ماء ولا مرعى ولا تركب .

وقيل بل ينزع من ظهرها فقارة أو عظمة فتعرف بذلك .

وقيل هي الناقة التي انتجت عشرة أبطن كلهن إناث، فتسيب فلا تركب ولا يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعا، ثم تبحر أذن ابنتها الأخيرة وتسمى البحيرة، وتكون بمنزلة أمها في أنها سائبة[4] .

(١) بحر الناقة شق أذنها نصفين، وقيل شق أذنها طولا، ولهذا سمى البحر بحرا لأنه شق في الأرض

(٢) انظر ص ١٥ من الدراسة تعريف مصطلح التابو

(٣) مأخوذ من سيب الشيء أي تركه يسيب حيث شاء، سابت الناقة تسيب سيبا تركت ترعى وتحوم حيث تشاء فهي سائبة، وقيل أنه قد أغير على رجل من العرب ولم يجد دابة يركبها، فركب سائبة، فقيل له : أتركب حراما ؟! فقال : يركب الحرام من لا حلال له، فذهبت مثلا . انظر اللسان سيب .

(٤) انظر القرطبي ٦/٣٣٦، والطبري ٧/٨٦، القلقشندي ١/٤٠

كتب ممنوعة ونادرة

الحـــامى :

هو الفحل من الإبل الذى انتجت الناقة من لقاحه إياها عشرة أبطن فإذا بلغ إلقاحه إياها عشراً قالوا هذا حام ، أى حمى ظهره فيحرم ويترك فلا يركب ولا يمنع من ماء ولا مرعى ولا يجز له وبر ولا ينتفع منه بشىء .

وقيل الذى طال مكثه عندهم ، كما قيل إذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره[1] .

الوصـــيلة :

هى أنثى الشاء التى تلد ذكراً أو أنثى ، فيقولون وصلت أخاها ، ويصبح لبنها ولحمها حراما على النساء دون الرجال ، وتجرى مجرى الناقة السائبة .

وقيل أنها أنثى الشاء التى تلد ستة أبطن فإن كان السابع ذكراً ذبح وأكل منه الرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركت فى الغنم ، وإن كانت أنثى وذكراً قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبح وكان لحم الشاة ولبنها حراما على النساء دون الرجال

كما قيل أنه كان من عاداتهم إذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم ، وإذا ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ، وإذا ولدت ذكراً مع أنثى قالوا : وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها[2] .

---

(١) انظر الطبرى ٨٦/٧ ، القرطبى ٢٣٧/٧ ، القلقشندى ٤٠٢/١
(٢) انظر نفس المصادر السابقة

كما نجد القلقشندى يذكر فى صبح الأعشى حالات أخرى لتحريم الجاهليين للابل ومن ذلك :

إغلاق الظهر :

ومعناه أن الرجل منهم كان إذا بلغت إبله مائة عمد إلى البعير الذى كملت به المائة ، فأغلق ظهره بأن ينتزع شيئا من فقراته ، ويعقر سنامه كى لا يركب ، ليعلم أن إبل صاحبه قد أمأت[1] .

التفقئـة والتـعمية :

ومعنى ذلك أن الرجل إذا بلغت إبله ألفا فقأ عين الفحل ، وهى التفقئة فإن زادت عن ذلك فقأ العين الأخرى ، وهى التعمية ، ويزعمون أن ذلك يدفع العين عن الإبل[2] .

لم تقتصر ظاهرة التحريم أو الحظر Tabco عند الجاهليين على الحيوان فقط ، وإنما امتد هذا إلى الطير ، وكما عرف معجم العربية كلمات سائبة ، بحيرة ، وصيلة ، حام ، عرف أيضاً كلمات تتصل بالطير مثـل السانح ، والبارح ، والطيرة ، والزجر ، والعيافة[3] .

كما نجد أن دلالة كلمة طائر فى العربية — نتيجة لمعتقدات الجماعة اللغوية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام — لاتعنى فقط هذا المخلوق ذى

---

(١) انظر صبح الاعشى ٤٠٣/١
(٢) نفس المصدر والموضع
(٣) الزجر : التفاؤل والتشاؤم بطيرانها ، والعيافه ضرب من التكهن انظر اللسان زجر ، القلقشندى ٣٩٩/١

كتب ممنوعة ونادرة

الجناحين ، ولـكنها تحمل دلالة أخرى ، فهى تعنى عمل الإنسان وما كسبت يداه فى مثل قوله تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا[١] » .

كما تعنى أيضاً حظ الإنسان أو قدره من خير أو شر فى قوله تعـالى « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطيروا[٢] بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولـكن أكثرهم لا يعلمون[٣] » .

لقد خاطب الله سبحانه وتعالى الجماعة اللغوية الأولى التى عاشت قبل الإسلام فى شبه الجزيرة العربية بلسانها الذى اعتادوا عليه ومعتقداتهم التى درجوا عليها .

وتذكر لنا كتب اللغة والأدب أن العرب فى الجاهلية قد اعتادوا زجر الطير وعيافتها ، واعتبروا تيامنها فألا ، وتياسرها شؤما ، وسموا الطائر الذى يأتى عن يمينك بالسانح ، وسموا الطائر الذى يأتى عن يسارك بالبارح ،

---

(١) الإسراء / ١٣

(٢) يذكر القلقشندى أن الطيرة مأخوذ من اسم الطير ، وأكثر ما عولوا عليه من ذلك الغراب ، ثم تمدوه إلى غير الطير من الحيوان صبح الأعشى ١/٣٩٩ وانظر أيضا اللسان طير

(٣) الأعراف / ١٣١ ، انظر القرطبى ٧/٢٦٤ — ٢٦٦

وقيل أن العرب تختلف فى ذلك ، فأهل نجد يتيمنون بالسانح ، ومن ذلك قول ذى الرمة وهو نجدى[١] :

خليلى ! لا قيتما ما حييتما ... من الطير إلا السانحات وأسعدا

وقال كثير وهو حجازى ممن يتشاءم بالسانح[٢] :

أقول إذا ما الطير مرت مخيفـة ... سوانحها تجرى ولا استثيرها

ويذكر القرطبى أيضا أنه من كانت له حاجة من الجاهليين أتى الطير فى وكرها فنفرها ، فإذا أخذت ذات اليمين مضى لحاجته ، وهذا هو السانح عندهم ، وإذا أخذت ذات الشمال رجع عن حاجته وهـذا هو البارح عندهم[٣] .

كما يذكر القرطبى أيضا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: « أقروا الطير على مكناتها[٤] [٥] » ، وفى الحديث أيضا قوله صلى الله عليه

كتب ممنوعة ونادرة

---

(١) انظر اللسان سنح

(٢) نفس المصدر والموضع

(٣) القرطبى ٧/٢٦٥

(٤) القرطبى ٦/٥٩

(٥) هكذا فى الحديث وقد جاء فى معلقة امرىء القيس :
وقد أغتدى والطير فى وكناتها ، الوكنه اسم لكل وكر وعش ، أى موضع الطائر الذى يبيض فيه ويفرخ ، المكنات جمع مكن ، ومكن جمع مكان .
انظر الزمخشرى مكن وكذا اللسان

وسلم « لا طيرة وخيرها الفأل ، قيل يارسول الله ، وما الفأل ؟ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم[1] [2] » .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يسمع ياراشد يانجيح [3][4] .

ومما يتصل بذلك من المحرمات والمحظورات التي تعرفها اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى معنى الشمال الذي يحمل دلالة سلبية ، ونرى هذا واضحاً من خلال بعض النصوص الدينية في القرآن الكريم والحديث الشريف .

ومن ذلك قوله تعالى « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه[5] » ، وقوله تعالى « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم[6] » .

---

(١) البخاري ١٧٤/٧ ط دار الشعب ، شرح صحيح مسلم للنووي ٧٧/١

(٢) قال الأصمعي سألت ابن عوف عن الفأل فقال : هو أن يكون مريضاً فيسمع ياسالم . أو يكون باغيا [يطلب الشيء الضال] فيسمع ياواجد . انظر القرطبي ٥٩/٦

(٣) انظر القرطبي ٥٩/٦ ، انظر أيضا القلقشندي ٤٠٠/١

(٤) ذكر القلقشندي بالإضافة إلى ذلك الطيور التي حرم الجاهليون صيدها أو أكلها أو تشاءموا بها . انظر صبح الأعشى ٧٩/٢ — ٨٩

(٥) الحاقة /٢٥ (٦) الواقعة ٤١ ، ٤٢

وفي الحديث الشريف « لا يأكلن أحدكم بشماله ، لا يأخذ بها ولا يعطي بها ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في جميع أموره[1] » .

يعرف معجم اللغة العربية تعبيرات اصطلاحية idioms تستعمل كلمة الشمال كعنصر دلالي بالمعنى السلبي ومثال ذلك : هو « عندي بالشمال » أي في منزلة خسيسة ومنه قول الشاعر[2] :

ألم أك في يمنى يديك جعلتني ... فلا تجعلني بعدها في شمالكا
ولو أنني أذنبت لم أك هالكا ... على خصلة من صالحات خصالكا

ونجد هذا التعبير أيضا : « نظر فلان عن شماله » كناية عن الانهزام ومنه قول الشاعر[3] :

رقيبان صدق من عدي عليهم ... صفائح بصرى علقت بالعواتق
إذا فرغوا لم ينظروا عن شمائلهم ... ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

كتب ممنوعة ونادرة

---

(١) البخاري ٨٨/٧ ، ٨٩ ط الشعب ، صحيح مسلم ١٠٨/٦ ، ١٠٩

(٢) المنتخب من كنايات الشعراء / ١٣٩

(٣) نفس المصدر والموضع

وبيدو أن كلمة الشمال ليست من الكلمات ذات الدلالة السلبية أو الإيحاء البغيض إلى النفس فى العربية فقط ، وإنما لها نفس الدلالة السلبية والإيحاء البغيض فى بعض اللغات الأخرى أيضا ، حيث نجد بعض اللغويين المحدثين يذكر أن معنى الشمال left فى اللغات الأوربية من الأشياء التى تقترن بالخوف والتشاؤم ولذا تلجأ هذه اللغات لنوع من تحسين اللفظ وذلك باستعارة كلمة أجنبية لتعبر بها عن المعنى ، فنرى اللغة الاسبانية تستعير كلمة Izquierdo من لغة الباسك للتعبير عن معنى الشمال ، وتستعير اللغة الفرنسية كلمة gauche من الألمانية والتى تعنى حرفيا الطريق الخطأ ، وهو نفس المعنى السلبى الذى تحمله كلمة Left فى الإنجليزية أى خاطىء أو ضعيف أو عديم النفع .

كما تعرف اللغة اليونانية مجموعة من الكلمات المحسنة لكلمة شمال ، مثل : ذو الاسم الحسن of good name، والفأل الحسن of good Omen والمبجل Honoured ، والمحظوظ for tunate (١) .

سبق أن أشرنا إلى أن بعض الأماكن تدخل فى دائرة التحريم أو الحظر لأنها تتميز بخصوصية معينة تجعلها منطقة حراما أو محظورة على كل أفراد الجماعة اللغوية أو بعضهم ، ولقد ذكر شتينر Steiner أن الحمى عند الجاهليين بمعنى الموضع الذى ينمو فيه الكلأ كان من الأماكن المحرمة على غير أبناء القبيلة (٢) .

(١) انظر Ullman : Semantics, p. 206

(٢) انظر Steiner : Taboo, pp. 69-70.

كتب ممنوعة ونادرة

ولقد سمى حمى لأنه يحمى من الناس أن يرعوا فيه ، قال أبو زيد اللغوى : حميت الحمى حميا منعته ، وإذا امتنع منه الناس ، وعرفوا أنه حمى قلت أحميته (١) ، وقال الجوهرى : هذا شىء حمى على وزن فعل أى محظور لا يقرب (٢) .

لقد كان لكل حى — أو مجموعة من الأحياء — مرعاها الخاص بها ، وماؤها الخاص بها الذى لا يسمح لغريب بوروده أو الاقتراب منه ، وكان الحى يعمل كجماعة واحدة مترابطة نظراً لظروف البيئة الصحراوية (٣) .

يلقى الإمام الشافعى مزيداً من الضوء لتوضيح مفهوم الحمى عند الجاهليين فى معرض تفسيره لقوله صلى الله عليه وسلم لا حمى إلا لله ورسوله قائلا « ... كان الشريف من العرب فى الجاهلية إذا نزل بلداً فى عشيرته استعوى كلبا فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه غيره ، فلم يرعه معه أحد ، وكان شريك القوم فى سائر المراتع حوله ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يحمى على الناس حمى كما كانوا فى الجاهلية يفعلون (٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم إلا لله ولرسوله : أى إلا ما يحمى لخيل المسلمين وركابهم التى ترصد للجهاد ويحمل عليها فى سبيل الله ، وإبل الزكاة

(١) انظر اللسان حما

(٢) نفس المصدر والموضع

(٣) د . محمود الحفنى سيرة عنترة ص ١٩ ط الدار القومية للطباعة

(٤) انظر اللسان حما ، البخارى ط الشعب ١٤٨/٣

كما حمى عمر رضى الله عنه النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة فى سبيل الله .

ونقرأ فى البخارى فى وصية عمر بن الخطاب لمولى له يدعى هنيا حينما استعمله على الحمى قوله « .. ياهنى اضمم جناحك على المسلمين ، واتق دعوة المظلوم ، فإن دعوة المظلوم(١) مستجابة ، وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة فى الحمى .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها (عتبوا على عثمان موضع الغمامة المحماة ، تعنى بذلك الحمى الذى حماه ، وموضع الغمامة أى الكلأ الذى يسقى بماء المطر ، والناس شركاء فيما سقته السماء من الكلأ إذا لم يكن مملوكا ، فلذلك عتبوا على عثمان رضى الله عنه(٢) .

وكما نرى من هذه النصوص أن الإسلام عمل على نفى فكرة التحريم أو الحظر هذه بالنسبة للحمى ، وإن كان قد أبقى مكانا واحداً حراماً أو محظوراً هو المسجد الحرام بحدوده المعروفة قبل الإسلام يحظر دخوله لغير المسلم ، كما يحظر على المسلم أن يصطاد فيه أو بالقرب منه حيوانا أو طيراً ، أو يقتلع نبته أو شجرة ، كما يحرم عليه أيضاً القتال فى حدوده(٣) .

كتب ممنوعة ونادرة

---

(١) انظر البخارى ط الشعب / ٨٧

(٢) انظر اللسان حما

(٣) وإلى ذلك أشار الله سبحانه وتعالى بقوله « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام

ويتصل بفكرة المكان الحرام أو المحظور الزمان الحرام أو المحظور ، ولقد عرف الجاهليون قبل الإسلام شهوراً أربعة يحرم فيها القتال وهى ثلاثة أشهر متتابعة : ذو القعدة ، ذو الحجة ، والمحرم وواحد مفرد هو شهر رجب ولقد أقر الله ذلك فى قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)(١) (٢) .

= يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا .. » المائدة /٢

ومنه قوله تعالى « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » البقرة/١٩١

(١) التوبة /٣٦

(٢) ذكر القلقشندى فى كتابه إلى جانب ذلك ماتفاءل وتشاءم به الجاهليون من أيام الأسبوع

انظر صبح الأعشى ١/٣٦٦، ٢ /٣٦٤ — ٣٧٤

الفصل الثالث

المحظور من الكلام

أشرنا إلى أن ظاهرة الحظر أو التحريم Taboo تشمل الأشياء والأفعال والأماكن والكلمات التى لا يجب أن ينطق بها الانسان(١) ، وكما يقول بعض الباحثين أن الكلمات تملك قوة سحريه magic power، فبعضها قد يصيب المتكلم بالأذى والضرر ، كما أن بعضها الآخر قد يعطيه نوعاً من القوة والحماية (٢) ، وتعتبر وسائل الحفاظ على النفس ، والمرء يحيط نفسه بها ، وهذا الاعتقاد موجود لدى جميع المجتمعات البشرية ، ونرى بصماته وآثاره على اللغة (٣) .

تعرف اللغة العربية ذلك فى شكل الاستعاذة(٤) ، التى نقف عليها من خلال بعض الأحاديث النبوية الشريفة التى تشير إلى التعوذ أو النطق بكلمات

(١) انظر ص ١٦ من الدراسة

(٢) انظر Selauch : The gift of Language, pp. 17-18, New York.

(٣) انظر Ullman : Semantics, p. 39

(٤) الاستعاذة فى اللغة الاستجارة والتحيز إلى الشىء على معنى الامتناع به من المكروه ، فلان عوذ فلان أى ملجأ له يعوذ به ومن ذلك قوله تعالى « وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » آل عمران/٣٦
انظر اللسان عوذ ، القرطبى ١/٨٩

كتب ممنوعة ونادرة

معينة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (.. من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بالله بكلمات الله التامات(١) من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرتحل(٢) .

كما نجد أحاديث أخرى تفضل هذه الكلمات التامات المتمثلة فى بعض آيات وسور من القرآن الكريم ، ومثال ذلك آية الكرسى فى سور البقرة (٣) ، ويقول القرطبى : هذه آية أنزلها الله جل ذكره ، وجعل ثوابها لقارئها عاجلا أو آجلا ، فأما العاجل فهى حارسة لمن قرأها من الآفات(٤) .

ومن ذلك أيضا آية العرش فى سورة التوبة(٥) ، فمن قال إذا أصبح

(١) قال ابن الأثير : وصف كلامه بالتمام لأنه لا يجوز أن يكون فى شىء من كلامه نقص أو عيب ، كما يكون فى كلام الناس ، وقيل التمام بأنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات .

(٢) انظر القرطبى ١/٨٦

(٣) هذه الآية هى « الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات والأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » البقرة/٥٥

(٤) انظر القرطبى ٣/٢٦٩

(٥) وهذه الآية هى « فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم » التوبة/١٢٩

وإذا أمسى حسبي الله ، لا إله إلا الله هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم سبع مرات ، كفاه الله ما أهمه ، صادقاً كان بها أو كاذباً(١) .

كما نجد سوراً كاملة من القرآن تمتلك هذه القوة أو التأثير مثل سورة يس قلب القرآن(٢) ، وفاتحة الكتاب أم القرآن(٣) ، والمعوذتين اللتين تعوذ بهما الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سحرته اليهود ويقول فيهما « لقد أنزل الله على آيات لم ير مثلهن ، قل أعوذ برب الناس ، وقل أعوذ برب الفلق(٤) » .

وفى مقابل هذه الكلمات التامات المباحة ذات القوة والتأثير والتى أمر الله ورسوله جماعة المسلمين أن ينطقوا بها لتحميهم وتحصنهم ، فإننا نجد فى مقابل ذلك كلمات أخرى محظورة ذات دلالات سلبية ، نهى الله سبحانه وتعالى جماعة المسلمين أن ينطقوا بها فى خطابهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، ونرى ذلك فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم(٥) » .

كما يفصل سبحانه وتعالى ذلك فى موضع آخر « ومن الذين هادوا يحرفون

---

(١) انظر القرطبى ٨/٣٠٣

(٢) نفس المصدر ٢/١٥

(٣) نفس المصدر ١/١٠٨

(٤) نفس المصدر ٢٠/٢٥١ ، انظر البخارى ٧/١٧٠ ط الشعب

(٥) البقرة/١٠٤

كتب ممنوعة ونادرة

الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ، ليا بألسنتهم ، وطعناً فى الدين ، ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ، لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا(١) »

يفسر لنا القرطبي هذا قائلا « نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عما اعتاد عليه اليهود فى مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ، ومن المعانى أرقها .

قال ابن عباس كان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا من المراعاة ، أى التفت إلينا ، وكان هذا بلسان اليهود سباً(٢) أى اسمع لا سمعت ، فاغتنموها وقالوا : كنا نسبه سراً فالآن نسبه جهراً ، فكانوا يخاطبون بها النبى صلى الله عليه وسلم ، ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها سعد بن معاذ ، وكان يعرف لغتهم ، فقال لليهود : عليكم لعنة الله ، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبى صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه ، فقالوا ألستم تقولونها ؟ ! ، فنزلت الآية لنهى المسلمين عن استعمال هذه الكلمة(٣) .

وكما أمر الله سبحانه وتعالى جماعة المسلمين بتوقير الرسول صلى الله عليه وسلم بتخير أحسن الألفاظ فى خطابه ، نهاهم كذلك عن رفع أصواتهم فوق

---

(١) النساء / ٤٦

(٢) تعنى مادة رع ه فى العبرية معنى السوء والشر أو الشؤم
انظر قاموس قوجمان عبرى — عربى ط بيروت

(٣) انظر القرطبى ١ / ٥٧ ، ٥ / ٢٤٢
الطبرى ١/ ١١٧ ، ٥ / ٤٦٩

صوته ، وأن يجهروا له بالقول ، فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى (١) » .

ولا يقتصر حظر رفع الصوت والجهر بالقول بين المسلمين ونبيهم صلى الله عليه وسلم ، وإنما يمتد هذا الحظر ليشمل سلوك المسلم عامة وعلاقته بغيره امتثالا لقوله تعالى « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول (٢) » ، وقوله تعالى « واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (٣) » .

وكما علم الله سبحانه وتعالى جماعة المسلمين آداب الخطاب ونهاهم عن محظور الكلام ، كذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على تلك الآداب ، ونهاهم عن استعمال بعض الألفاظ المحظورة ، ومما يروى عنه فى ذلك عندما دخل عمير بن وهب على بعض الصحابة فقالوا : انعموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهلية ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لقد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمر ، السلام تحية أهل الجنة (٤) .

---

(١) الحجرات / ٢ ، ٣
(٢) النساء / ١٤٨
(٣) لقمان / ١٩
(٤) الحلبى انسان العيون ٢/٢٠٩

لقد كان العرب فى الجاهلية يستنهضون العاثر بقولهم : دعدع ولا لعلع فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستحب لهم أن يقولوا : اللهم ارفع وانفع (١) » .

ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى (٢) »

ومن الكلمات المحظورة التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين من استعمالها كلمة الخبث فى قوله « لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ، ولكن ليقل لقست نفسى » يقول النووى : لقد كره الرسول صلى الله عليه وسلم لفظ الخبث لبشاعة الاسم ، وعلمهم الأدب فى الألفاظ واستعمال حسنها ، وهجران خبيثها ، ولقست بمعنى خبثت ، وقيل معناه ضاقت (٣) .

ومن المحظورات اللغوية المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تسمية العنب بالكرم فى قوله « لا يقولن أحدكم للعنب الكرم (٤) » ، فإن الكرم

---

(١) ابن فارس الصاحبى ص ٦٣
(٢) انظر كتاب الألفاظ من الأدب شرح صحيح مسلم للنووى ١٠٥/١ ط الشعب .
(٣) نفس المصدر/١٠٧، الصاحبي/١٠٠ ، الفائق/ لقس ، النهاية / لقس
(٤) سمى الكرم كرماً ، لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء والكرم ، والكرم بفتح الراء مصدر يقام مقام الموصوف ، يقال رجل كرم وامرأة =

كتب ممنوعة ونادرة

الرجل المسلم ، وفى رواية « ولـكن قولوا العنب والحبلة » بفتح الحاء والباء وهى شجرة العنب

يقول النووى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك لأنهم إذا سمعوا هذه اللفظة ربما تذكروا بها الخمر ، وهيجت نفوسهم إليها فوقعوا فيها أو قاربوا ذلك ، وقال إنما يستحق هذا الاسم الرجل المسلم(١) .

لا تقتصر دائرة المحظورات اللغوية على الكلمات التى يستعملها المتكلمون فيما بينهم ، ولكنها تتسع لتشمل أسماء المتكلمين أنفسهم ، وكما يقول أحد الباحثين المحدثين أن الأسماء تلعب دوراً هاما فى علاقات الإنسان ، فنجد على سبيل المثال قبائل الماساى Masai فى أفريقيا لا تذكر اسم الميت إذا تشابه أو اتفق مع كلمة معينة ، لذا فإنهم يستبدلونها بكلمة أخرى ، ومثال ذلك إذا مات شخص اسمه ol-onoma بمعنى اللطيف أو الضعيف ، أو كان على

كرم وخففته العرب فقالت كرم « بسكون الراء » يريدون شجرة العنب لما ذلل من قطوفه عند الينع وكثر من خيره فى كل حال ، وأنه لا شوك فيه يؤذى القاطف : ونهى الرسول (ص) المسلمين من تسميته بهذا الاسم لأنه يعتصر فيه المسكر المنهى عن شربه وقال أن الرجل المسلم أحق بهذه التسمية من هذه الشجرة . انظر اللسان كرم

(١) شرح صحيح مسلم للنووى ٥/١٠٣

وشك الموت فإن أى كلمة تقترب من هذا المعنى يجب ألا تذكر وتتجنب تماما(١)

لقد خضعت بعض الأسماء فى اللغة العربية لظاهرة التحريم أو الحظر لما تحمله من دلالات سلبية غير محببة للنفس ، وكما يقول بعض القدماء أنه قد يقدح فى حسن الرجل قبح اسمه ، ويزيد فى مهابة الرجل فخامة اسمه ، ولهذا تكنى البحترى بأبى عبادة وكان يكنى أبا الحسن ، وشهد رجل عند شريح وكان الرجل يكنى « بأبى الكويفر » فرد شهادته ولم يسأل عنه .

كما يروى عن عمر بن الخطاب أنه قد أتاه ظالم بن سراق ليستعمله فرده ، وقال له : أنت تظلم ، وأبوك يسرق ، لا خير فيك(٢) .

وقد غير الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً من أسماء الصحابة ، وروى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يغير الاسم القبيح(٣) فقيل أن ناجية كان اسمه ذكوان ، فغير اسمه وسماه ناجية عندما نجا من قريش فى غزوة الحديبية ، كما يروى أنه لما وفد زيد الخليل بن المهلهل فى وفد من طىء على الرسول غير اسمه إلى زيد الخير ، كما استبدل

---

(١) انظر Ullmann : Semantics, p. 71.
يشبه هذا عدم تصريحنا باسم الميت واستعمال كلمة المرحوم أو الفقيد
(٢) انظر العسكرى الصناعتين ، الشعر والشعراء ص١٧ ، ابن القيم زاد المعاد ٢/٥
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٢/٢٩٥

كتب ممنوعة ونادرة

صلى الله عليه وسلم اسم أم المؤمنين جويرة وكان اسمها برة[١].

ونقرأ فى البخارى أن المسيب جاء مع أبيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك قال حزن ؟ قال أنت سهل ، قال لا، لا أغير اسماً سمانيه أبى ، وقال ابن المسيب فمازالت الحزونة فينا بعد[٢].

إن المتتبع لأسماء الأعلام فى العربية يلاحظ أنها تعود إلى معتقدات الجماعة العربية الأولى التى عاشت فى شبه الجزيرة العربية ، وترتبط بظروف البيئة الثقافية والمادية لها.

ويسجل لنا الجاحظ هذا قائلا « .. كان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل ، فإذا سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى حجراً سمى ابنه به ، وتفاءل الشدة والصلابة والبقاء والصبر وأنه يحطم مالقى ، وكذلك إن سمع إنسانا يقول ذئبا أو رأى ذئبا تأول فيه الفطنة والخب والمكر والكسب ، وإن كان حماراً تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد ، وإن كان كلبا تأول فيه الحراسة واليقظة وبعد الصوت والكسب وغير ذلك[٣] ».

وقيل للعتبى : ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشنعة وسمت

---

(١) الحلبى انسان العيون ٢/٤٩٥

(٢) البخارى ٨/٥٣ ط الشعب

(٣) الحيوان ١/٣٢٤

عبيدها بالأسماء المستحسنة ؟ فقال : لأنها سمت أبناءها لأعدائها ، وسمت عبيدها لأنفسها[١].

لقد كان العرب يختارون لأولادهم الأسماء التى تحمل دلالات معينة فمن الذكور طارق وهو الذى يطرق بالليل ، والقطامى الصقر مأخوذ من القطم ، ونوفل بمعنى العطية ، ريطة من الملاءة البيضاء ، ورباب بمعنى السحاب الأبيض ، وأم البنين وأم الصبيين تفاؤلا بكثرة إنجابها[٢].

كتب ممنوعة ونادرة

---

(١) فقه اللغة للثعالبى ٣٦٣ ، الاشتقاق ٤/١٢ ؛ القلقشندى ٥/٤٢٥ ، ٤٢٧

(٢) انظر عباس كاظم «أسماء الناس معانيها وأسباب التسمية بها» الجزء الأول ص ٣٦ وما بعدها ط بغداد ١٩٨٤

انظر أيضا الاسماء المندوبة شرعا ، والأسماء المستقبحة شرعا والألقاب المباحة والألقاب المحرمة القلقشندى ٥/٤٢٦ ، ٤٣٩

الفصل الرابع

دوافع تحسين اللفظ ووسائله

سبق أن أشرنا إلى أن القدماء قد فطنوا إلى ظاهرة « المحظورات اللغوية » واستعملوا بعض المصطلحات المتصلة بها مثل « تحسين اللفظ » و « تلطيف المعنى » ، و « التعريض »[1] ، وقد تداولت كتب اللغة والأدب والبلاغة هذه الظاهرة فى باب الكناية وأنواعها ودوافعها .

كتب ممنوعة ونادرة

نجد ابن فارس يذكر الكناية ضمن أبواب كتابه الصاحبى، ويجعلها فى نوعين :

أحدهما : أن يكنى عن الشىء فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ أو إكراما للمذكور .

ثانيهما : الكناية التى للتبجيل فى قولهم أبو فلان صيانة لاسمه من الابتذال[2] .

كما يذكر ابن رشيق فى كتابه العمدة الكناية قائلا « ..ومن الكناية

(١) انظر ص ١٨ من الدراسة وما بعدها

(٢) الصاحبى/٤٣٩

اشتقت الكنية ، لأنك تكنى عن الرجل بالأبوة ، فتقول أبو فلان باسم أبيه ، أو ماتعورف فى مثله ، أو مااختار لنفسه تعظيما وتفخيما ، وتقول ذلك للصبى على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد ، وينص على أن المبرد وغيره قد جعل الكناية على ثلاثة أوجه :

الأول : ماذكره آنفا .

الثانى : التعمية والتغطية .

الثالث : الرغبة عن اللفظ الخسيس[1] .

وإذا كنا قد وجدنا هذا الحديث المختصر عن تلك الظاهرة عند ابن فارس وابن رشيق ، فاننا نجد الثعالبى والجرجانى يعالجانها بشىء من التفصيل ، ويؤلفان فيها كتابين وحيدين لاثالث لهما فيما نعلم هما :

الكناية والتعريض .

المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء[2] .

وقد أشار كل من الثعالبى والجرجانى فى هذين الكتابين إلى الدوافع والأسباب التى تدفع المتكلم لاستعمال الكناية بمعنى تحسين اللفظ ، كما ذكر كل منهما الموضوعات أو المجالات الدلالية التى تشملها هذه الظاهرة .

(١) العمدة ١/٣١٣ انظر أيضا اللسان كنى

(٢) الكتابان فى مجلد واحد طبعا على نفقة أحمد ناجى الجمال ود أمين الخانجى سنة ١٩٠٨م بالقاهرة بلا تحقيق علمى .

يقدم الثعالبي لكتابه قائلا « .. هذا الكتاب في الكنايات عما يستهجن ذكره، ويستقبح نشره، أو يستحيا من تسميته، أو يتطير منه، أو يسترفع ويصان عنه، بألفاظ مقبولة تؤدى المعنى، وتفصح عن المغزى، وتحسن القبيح، وتلطف الكثيف، وتكسوه المعرض الأنيق في مخاطبة الملوك ومكاتبة المحتشمين، ومذاكرة أهل الفضل، ومحاورة ذوى المروءة والظرف، فيحصل المراد ويلوح الانجاح، مع العدول عما ينبو عنه السمع، ولا يأنس به الطبع، إلى ما يقوم مقامه، وينوب منابه، من كلام تأذن له الأذن، ولا يحجبه القلب[1] ».

ويمكن أن نستنتج من كلام الثعالبي أربعة أسباب تدفع المتكلم لتحسين القبيح وتلطيف الكثيف من الألفاظ، والعدول عما ينبو عنه السمع، ولا يأنس به الطبع من الكلام على حد تعبيره وهي:

١ — ما يستهجن ذكره ويستقبح نشره.

٢ — ما يستحيا من تسميته.

٣ — ما يتطير منه.

٤ — ما يسترفع ويصان عن ذكره

أما الجرجاني فيتوسع ويفصل ما أجمله الثعالبي من الأسباب والدوافع

(١) انظر مقدمة الكناية والتعريض ص ١

كتب ممنوعة ونادرة

التي تقف وراء ظاهرة تحسين اللفظ. قائلا « .. اعلم أن الأصل في الكنايات الإنسان عن الأفعال التي تستر عن العيون عادة من نحو قضاء الحاجة والجماع بألفاظ تدل عليها، غير موضوعة لها تنزها عن إيرادها على جهتها، وتحرزاً عما وضع لأجلها، إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها، فالكناية عنها حرز لمعانيها، قال تعالى « ولكن لا تواعدوهن سراً[1] » فكنى عن الجماع بالسر، لأنه يكون بين الآدميين على السر غالبا[2].

ويستطرد الجرجاني ذاكراً ستة أسباب أو دوافع لتحسين اللفظ. وهي:

١ — التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة، وإبدال ما يفحش ذكره في الأسماع، بما لا تنبو عنه الطباع في قوله « وإذا مروا باللغو مروا كراما[3] »، أي كفوا عن لفظه ولم يوردوه بأنهم أكرموا أنفسهم عن التلفظ به.

٢ — ترك اللفظ المتطير من ذكره إلى ما هو أجمل منه كقولهم « لحق فلان باصبعه، واستوفى أكله، ولحق باللطيف الخبير، يكنون به عن الموت، فعدلوا عن هذه الألفاظ تطيراً من ذكره بلفظه، وكقولهم المهلكة مفازة تفاؤلا بذكرها.

(١) البقرة / ٢٣٥

(٢) المنتخب من كنايات الأدباء ص ٤

(٣) الفرقان / ٧٢

٣ — الكناية عن الصناعة الخسيسة بذكر منافعها كما قيل للحائك ما صناعتك ؟ قال : زينة الأحياء ، وجهاز الموتى .

٤ — القصد إلى الذم بلفظ ظاهره المدح كقول العرب أرانيه الله أغر محجلا ، أى مقيداً ، فظاهر اللفظ مدح وباطنه ذم

٥ — التوسع فى اللغات والتفنن فى الألفاظ والعبارات ، فإنا إذا كنينا عن جامع كل شيء بسفينة نوح ، وعن الكثير السفر بخافية الخضر ومن النمام بالزجاجة ، اتسعت عبارة المتكلم ، وكثرت ألفاظه إلى غير ذلك .

٦ — التورية والترميز فى الأمور الجارية بين البلغاء والأدباء ومداعباتهم بمعاريض لا يفطن لها إلا البلغاء ، كما فى الروضة عن المبرد أنه حكى أن رجلا من تميم قال لشريك النميرى مافى هذه الجوارح أحب إليك من البازى ؟ ! قال نعم ، إذا كان يصيد القطا ، وكل منهما قصد مقصداً فهمه الآخر (١) .

كتب ممنوعة ونادرة

(١) المنتخب من كنايات الأدباء ص ٣ ، ٤

وما أشار إليه الثعالبى والجرجانى من دوافع وأسباب تقف وراء ظاهرة تحسين اللفظ أو تحدو بالمتكلم إلى العدول عن بعض الألفاظ ، واستعمال بعضها الآخر يجمله بعض اللغويين المعاصرين فى ثلاثة دوافع هى :

١ — الخوف والفزع :

نجد بعض المجتمعات تتجنب بعض الألفاظ بدافع الخوف ومثال ذلك مايعرف عن عدول اليهودى عن نطق اسم الله مباشرة واستعمالهم لكلمة السيد Master، ولم يقتصر هذا الحظر على اللغة العبرية فقط وإنما انتقل إلى اللغات الأوربية مثل الإنجليزية التى تستعمل كلمة Lord والفرنسية التى تستعمل كلمة Seigneur ، والألمانية التى تستعمل كلمة Herr بمعنى الله، وقد حدث ذلك بتأثير عملية الترجمة من العبرية إلى اليونانية ، ومنها إلى اللغات الأوربية (١)

كما نجد كثيراً من اللغات الأوربية تتجنب بدافع من الخوف أو الفزع أيضا ذكر أسماء بعض الحيوانات كما نرى بالنسبة لحيوان العربيه Weasel فهى تسمى فى الفرنسية باسم محسن هو Belette ، وتسمى فى الإيطالية Donnola أى السيدة الصغيرة ، كما تعرف فى الدانمراكية باسم الجميلة أو العروس ، وفى السويدية باسم البنت الجميلة ، أما فى اليونانية فتعرف باسم زوجة الأخ (٢) ، ونلاحظ أن التحسين هنا يتم بواسطة تغيير المعنى

(١) انظر Uilman : Semantics, pp. 205, 166
A Dictionary of Euphemisms, p. 13.

(٢) انظر Guiraud, La Sémantique, pp. 61-62.

كما يذكر اللغويون المحدثون أن معنى الشمال Left فى اللغات الأوربية من الأشياء التى تقترن بالخوف أيضا ، ولذا تلجأ هذه اللغات للتعبير هذه بنوع من تحسين اللفظ وذلك باستعارة كلمة أجنبية للتعبير بها عن المعنى، كما فعلت اللغة الأسبانية التى استعارت كلمة izquierdo من لغة الباسك للتعبير عن معنى الشمال ، والفرنسية التى استعارت كلمة gauche من الألمانية، وتعنى حرفيا الطريق الخطأ أو غير الملائم ، وهو نفس المعنى فى كلمة Left الإنجليزية التى تعنى حرفيا الخطأ أو الضعف، كما نجد اليونانية أيضا تعرف بعض الأسماء الحسنة لكلمة شمال مثل : ذو الاسم الحسن of good name أو الفأل الحسن of good omen والمحظوظ fortunate ، والمبجل Honoured [1]

كتب ممنوعة ونادرة

ومن المعانى التى تثير الفزع والخوف عند الإنسان أيضا الحديث عن المرض والموت ، وكما يقول أولمان أن الإنجليزية قد عدلت عن كلمة Addle بمعنى مرض والتى تعنى فى نفس الوقت قذارة dirt إلى الكلمة المحسنة disease وتعنى فقدان الراحة Lack of case أو غير مريح uneasiness وذلك للاشارة إلى المرض illness [2] .

كما تعدل اللغات الأوربية عن ذكر الموت death والفعل يموت Todie

(١) انظر Ullmann, Semantics, p. 206

(٢) Ibid, p. 187

إلى عبارات مثل to go west ; to pass away, being taken away, depart this life [1] ، كما تعدل الإنجليزية عن كلمة undertaker بمعنى حانوتى إلى كلمة أخرى هى funeral director [2] ، وتشير الفرنسية إلى الميت بكلمة Le disparu بمعنى الفقيد أو الراحل [3][4] .

(١) Schlauch, The gift of Language, p. 279.

(٢) Ibid, p. 118.

(٣) Guiraud, La Sémantique, p. 60.

(٤) تعرف العربية أيضا مثل هذه التعبيرات. انظر الفصل الثالث من الباب الثانى وكذلك كتابنا التعبير الإصطلاحى

٢ — الكياسة والتأدب :

يفزع الإنسان فى بعض الأحيان عندما يتحدث مع الغير أو عن الغير إلى تجنب الكلمات المؤلمة أو الجارحة للشعور ، واستعمال كلمات بديلة محسنة[١] فالمتحدث بالفرنسية مثلا يعدل عن كلمة . Sextet إلى كلمة quintet عندما يشير إلى الفرقة الموسيقية الأمريكية المكونة من ستة عازفين ، كما يستعمل الفرنسى تعبير être noire بمعنى أسود للاشارة إلى الإنسان فى حالة السكر الشديد ، وكأن هناك ثمة علاقة بين السواد وحالة السكر[٢] ومن ذلك ما يذكره الثعالبى من أن « طيب النفس » عند الظرفاء كناية عن السكر ، «وأبو البيضاء» عندهم كناية عن الزنجى [٣] .

كتب ممنوعة ونادرة

كما نجد متحدث الإنجليزية يعدل عن كلمة abnormal بمعنى الشخص المتخلف عقليا إلى كلمة exceptional ، وتعرف الإنجليزية أيضاً كثيراً من الكلمات التى تشير إلى معان سلبية هى فى حقيقتها كلمات محسنة مثل كلمة Idiot بمعنى أبله ، وتعنى هذه الكلمة فى الحقيقة الشخص المتميز private person ، وهى مشتقة من اليونانية بهذا المعنى ، كما أن كلمة

(١) انظر المفارقات اللغوية الفصل الاول من الباب الثانى

(٢) انظر A Dictionary of Euphemisms, p. 13.
Guiraud, La Semantique, p. 169.

(٣) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ص ٣٨

silly بمعنى سخيف تعنى أساساً الشخص السعيد Happy person أو الشخص المبارك blessed [١] .

ومن هذا ما ذكره الثعالبى أيضاً من قول الحجاج لأم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : عمدت إلى مال الله فوضعته تحت ذيلك » وكره أن يقول تحت استك خوفاً من أن يعاب بما عيب به عبد الله بن الزبير لما قال لامرأة عبد الله اخرجى المال الذى تحت استك فقالت : ما ظننت أحداً يلى شيئاً من أمور المسلمين فيتكلم بهذا[٢] .

(١) انظر Ullmann : Semantics, p. 207.
Palmer : Semantics, p. 77.

(٢) انظر الكناية والتعريض ص ٧ .

٣ — الخجل والاحتشام :

يمثل الشعور بالخجل والاحتشام دافعاً هاماً من الدوافع التى تجعل المتكلم يعدل عن النطق ببعض الكلمات التى تتصل فى أغلب الأحيان بالأمور الجنسية ، أو ذكر بعض أجزاء معينة من الجسم ، أو التعبير عن قضاء الحاجة .

إن المتحدث بالفرنسية قد يتجنب الفعل Baiser بمعنى يقبل ويستعمل بدلا محسنا هو Embrasser بمعنى يحتضن ، كما قد يتجنب أيضاً استعمال كلمة Fille بمعنى ابنة ويستخدم تعبيراً محسناً هو Jeune fille لأن الكلمة الأولى لفظة محسنة بمعنى Prostituée أى عاهرة[١] ، كما تعرف اللغة العربية الحديثة تعبيراً محسناً لذلك هو بائعة الهوى .

ونجد نفس الشىء فى الإنجليزية التى يعدل المتكلم فيها عن كلمة Intercourse بمعنى العلاقة الجنسية وتستعمل تعبيرات أخرى مثل

To go to bed, To sleep with, To mak love [٨]

وكما نجد الشخص الأمريكى يعدل عن استعمال كلمتى Ass, Cook بمعنى ديك وحمار صغير لأن هاتين الكلمتين تشيران فى المجتمع الأمريكى إلى قبل ودبر الرجل لهذا يستخدم المتكلم كلمتين أخريين هما doneky, Rooster [٨]

(١) انظر Palmer : Semantics, p. 93.
(٢) انظر Ullmann : Semantics, p. 208.
(٣) انظر Hockett : A Course in Modern Linguistics, p. 400.

ويذكر يوهانفك أن الكتاب الشعراء فى القرن الرابع الهجرى قد تجنبوا كلمة الصرم بمعنى الهجر لأنها تختلط بالكلمة المولدة سرم بمعنى الدبر وصيغتها العامية صرم[١] .

ومما يتصل بذلك التعبير عن قضاء الحاجة والمكان المخصص لذلك ، فتعرف الفرنسية تعبيرات مثل le lavabo, le téléphone, le garde-robe بمعنى الذهاب إلى دوره المياه التى تعبر عنها الفرنسية أيضاً بتعبيرات محسنه مثل : le petit coin بمعنى المكان الصغير lieux d'aisance بمعنى مكان الراحة[٢] ، وتعرف الإنجليزية أيضاً مثل هذه التعبيرات[٣]

Rest Room, Bathroom, Lavatory (WC) water closet

كتب ممنوعة ونادرة

(١) العربية ص ١٨٤ ترجمة النجار ط الخانجى ١٩٥٩
(٢) انظر Guiraud : La Semantique, p. 61.
(٣) انظر Schlauch : The gift of Language, p. 118.
Palmer : Semantics, p. 210.
انظر أيضاً الكناية والتعريض الثعالبى ص ٢١

أوضحنا الدوافع والأسباب التى ذكرها القدماء المحدثون والتى تجعل المتكلم يعدل عن استعمال بعض الألفاظ المحظورة إلى ألفاظ أخرى محسنة ، إن كل لغة تعرف هذا النزوع أو السلوك اللغوى الذى يلجأ إليه متكلم اللغة بوسائل أو إجراءات مختلفة هى :

التحول المجازى :

يعتبر المجاز من أهم الوسائل التى يتوسل بها المتكلم للتعبير غير المباشر عن الكلمات أو المعانى التى يحظر عليه أن ينطق بها مباشرة ، ومثال ذلك التعبير عن المرأة بالقارورة ، أو الحلة[١] ، والتعبير عن فض غشاء البكارة بفض الخاتم أو ثقب اللؤلؤة[٢] ، والتعبير عن ختان الرجل بقطف الثمرة وضعف ذكره بهدبة الثوب والتعبير عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة بذوق العسيلة ، وارخاء الستر ، وكشف القناع ، واتيان الحرث[٣] .

ومن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة قالت لها أأقيد جملى ؟ فقالت لها : لا ، وكانت المرأة تريد أن تصنع شيئاً لزوجها لتمنعه من اتيان غيرها من نسائه ، فظاهر اللفظ تقييد الجمل وباطنه ما ارادته المرأة وفهمته السيدة عائشة رضى الله عنها[٤] .

---

(١) انظر الفصل الثانى الخاص بالمعتقدات والعادات الاجتماعية

(٢) انظر الفصل الرابع الخاص بالأمور الجنسية

(٣) انظر الفصل الرابع الخاص بالأمور الجنسية

(٤) انظر المثل السائر لابن الأثير ٣٨٦

٢ — التحول الدلالى :

نعنى بالتحول الدلالى تجنب المعنى المراد التصريح به ، إلى معنى آخر[١] ملازم له أو ناتج عنه ، ومثال ذلك التعبير عن الجماع فى اللغة الإنجليزية بالنوم أو الذهاب للفراش[٢] To sleep, to got to bed with ، والتعبير عنه بالغسل فى قول الشاعر :

فياليل إن الغسل مادمت أيما ... على حرام لا يمسنى الغسل

ومن ذلك ماروى عن عمر رضى الله عنه أن امرأة شكت له قلة غشيان زوجها لها فقال الزوج : أنا أغتسل عنها كل شهر مرة[٣] .

ومن ذلك قوله تعالى « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق[٤] » ، فهو تحول عن المعنى المراد التصريح به وهو الحدث وذكر شىء ملازم له وهو الأكل لأن من أكل فلا بد له من عاقبة الأكل[٥] .

---

(١) انظر ص ٥١ الخوف والفزع

(٢) انظر Palmer : Semantics, p. 93.

(٣) انظر اللسان غسل ، المنتخب ص ٤٧ ، ٤٨

(٤) الفرقان / ٧

(٥) انظر الكناية والتعريض الثعالبى ص ٢٩ ومن ذلك قوله تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » المائدة / ٧٥ .

كتب ممنوعة ونادرة

٣ — التوسع الدلالى :

يعنى التوسع الدلالى تجنب المعنى المحدد والضيق أو المقصود التعبير عنه والدوران حوله إلى معنى آخر أكثر شمولا وإتساعا : ومن ذلك التعبير عن الجماع فى بعض الأحاديث المروية مثل :

إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل [١] ، وفى حديث عمر رضى الله عنه . إذا التقى الرفغان فقد وجب الغسل [٢] .

ومن ذلك أيضاً ما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد [٣] » من المباشرة أى التقاء بشرتى الرجل والمرأة ، وقوله تعالى « أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً [٤] » .

من اللمس وهو المس أو الجس باليد ، والملامسة هنا بمعنى الجماع ، ذلك التعبير عن المرأة الفاجرة بأنها لا ترد يد لامس .

---

(١) أى ذكر الرجل وفرج المرأة انظر اللسان ختن والنهاية لابن الأثير ٢/ ١٠
(٢) الرفغ باطن الفخذ انظر اللسان رفغ والنهاية لابن الأثير ٢/ ٢٤٤
(٣) البقرة / ١٨٧ انظر اللسان بشر
(٤) النساء / ٤٣٠ انظر اللسان لمس

٤ — الإبدال الصوتى :

يمثل الإبدال أو القلب الصوتى ، أو يسميه بعض اللغويين المحدثين التحريف الصوتى Phonetic distortion [١] إحدى الوسائل التى يلجأ إليها المتكلم لتجنب اللفظ المحظور ، ويأت بلفظ آخر محسن عن طريق الإبدال أو التحريف الصوتى ، ومن ذلك العدول عن كلمة « الرين » [٢] إلى كلمة [٣] « الغين » فى الحديث الشريف « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة » أراد صلى عليه وسلم ، مايغشاه من السهو الذى لا يخلو منه البشر [٤] .

وقد نجد أن الإبدال أو القلب الصوتى يشمل أكثر من حرف مما يغير الكلمة تماما وبذلك يتجنب المتكلم اللفظ المحظور ، ونلاحظ هذا فى الكلمات الكثيرة الدالة على العلاقة الجنسية فى العربية ، ومثال ذلك ما

---

(١) انظر A Dictionary of Euphemisms, p. 11.
أنظر كتابنا أصول تراثية فى علم اللغة ص ١٩٥ .
(٢) الرين : الصدأ الذى يعلو السيف والمرآة والرين أيضاً أن يسود القلب من الذنوب ، ومنه قوله تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » المطففين ١٤
انظر كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ٢ / ٤٩ تحقيق عز الدين التنوخى . دمشق ١٩٦٠
(٣) الغين : الغيم ، وقيل الشجر الملتف انظر كتاب الابدال ٢/ ٤٩ ، اللسان غين ودين .
(٤) انظر كتاب الإبدال ٢/ ٥٩ ، اللسان غين

نجده فى كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى : بك الرجل المرأة يبكها بكا، وهكها يهكها هكا[١] .

ويقال : طمزها يطمزها طمزاً ، وطمسها يطمسها طمسا : إذا جامعها ، وكذلك طمزها طمزاً وطحسها طحساً .

ودمزها دمزاً ، ودعسها دعسا ، وكلها كنايات عن الجماع [٢] .
طمح الرجل امرأته يطمحها ، جخجخ امرأته وزخزخها ، كل ذلك يكنى به عن الجماع [٣] .

كما نجد فى المعاجم وكتب الابدال أيضاً كلمات كثيرة ذات دلالات سلبية تعبر بالقلب أو التحريف الصوتى ومثال ذلك الكلمات التى تعبر عن ضعف الإنسان مثل : رجل حزور ، وهزور [٤] ، ورجل زميل وزمال [٥] أو تشير إلى قبحه ودمامته مثل : الحبلق والهبلق[٦]، والإعفص والدنفص [٧].

---

(١) كتاب الإبدال ١ : ٨٨
(٢) نفس المصدر ٢ / ١١٩
(٣) نفس المصدر ١ /٢٢٤
(٤) كتاب الإبدال ١/٣٢١
(٥) نفس المصدر ٢/٥٣٥
(٦) نفس المصدر ١/٣٢٥
(٧) نفس المصدر ٢/٣١٩

ورجل دحمسانى ودخمسانى ودخمشانى ودحشمانى[١] إذا كان أسود غليظاً .
ورجل دنبه ودنمه[٢] إذا كان قصيراً ، وكذلك رجل قفشر[٣] وكفترة وقرشوم وقمشوم[٤] إذا كان صغير الجسم

٥ — الاقتراض اللغوى :

يعتبر الاقتراض اللغوى[٥] أيضاً من الوسائل التى يلجأ إليها المتكلم ليتجنب النطق بالمحظور من الكلمات فى لغته الأم ، ونلاحظ أن اللغات الأوربية الحديثة تستعير من اللغتين اللاتينية واليونانية كثيراً من الكلمات التى تشير إلى بعض الأعضاء الخاصة فى جسم الإنسان وأيضاً إلى وظائفه الفسيولوجية ، ونرى ذلك بصفة خاصة فى كلام الأطباء .

كتب ممنوعة ونادرة

وقد سبق أن أشرنا إلى استعارة بعض اللغات الأوربية كلمات معينة ذات دلالة سلبية مثل اللغة الأسبانية التى استعارت كلمة izquierdao من الباسك ، للتعبير عن معنى الشمال ، وكذلك استعارة اللغة الفرنسية كلمة gauche من الالمانية[٦]، [٧].

---

(١) كتاب الإبدال ١/٢٧٨
(٢) نفس المصدر ١/٥١
(٣) نفس المصدر ٢/٣٥٧
(٤) نفس المصدر ٢/٤٦
٥) انظر A Dictionary of Euphemisms, p. 10.
(٦) انظر ص ٥٢ من الدراسة
(٧) نجد الاقتراض اللغوى فى العامية المصرية فى استعمال مثل هذه الكلمات تواليت ، كاوت ، مدام .. الخ .

الباب الثاني

المجالات الدلالية للمحظورات اللغوية

كتب ممنوعة ونادرة

الفصل الأول

المفارقات اللغـــوية

كتب ممنوعة ونادرة

تناولنا فى القسم الأول من الدراسة مفهوم ظاهرة « المحظورات اللغوية بشقيها الألفاظ المحظورة ، والألفاظ المحسنة ، كما قمنا بدراسة هذه الظاهرة بجانبيها الإجتماعى واللغوى لدى الجماعة اللغوية العربية فى شبه الجزيرة ، من خلال بعض نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف .

تناولنا فى هذا القسم أيضاً الأسباب والدوافع التى تحدو بالمتكلم إلى العدول عن اللفظ المحظور واستعمال اللفظ المحسن من خلال كتابى الثعالبى والجرجانى وكتابات اللغويين المحدثين ، ثم أشرنا بعد ذلك إلى الوسائل أو الإجراءات التى يلجأ إليها المتكلم ليتجنب المحظور من الألفاظ .

أما القسم الثانى من الدراسة فيتناول المجالات الدلالية للمحظورات اللغوية فى ضوء كتابى الكنايات للثعالبى والمنتخب للجرجانى

وقد قمنا بدراسة وتصنيف المادة اللغوية الموجودة بالكتابين والتى اتسمت بعدم الترابط حيناً أو التنافر أحياناً أخرى ، فى أربعة مجالات دلالية شملت الموضوعات التى تتضمن المحظورات اللغوية .

تمثل المفارقات اللغوية المجال الدلالي الأول للمحظورات اللغوية ، ونعني بالمفارقة اللغوية : عدول المتكلم عن النطق بكلمة معينة قد تحدث نوعا من اللبس أو الحرج له إلى كلمة أخرى محسنة ، ولا يعود هذا الأمر إلى مواضع الجماعة اللغوية ، أو المجتمع بشكل عام كما سنرى في المجالات الدلالية التالية ، ولكن يرتبط ذلك بموقف فردي خاص ، يشعر به المتكلم ، ويفطن إليه بحسن كياسته وسرعة بديهته ، ومثال ذلك ماروى عن الخليفة المأمون أنه كان بيده مساويك فسأل الحسن بن سهل ما هذه ؟ فقال : ضد محاسنك ياأمير المؤمنين ، وكره أن يقول مساويك

ويحكى أيضا أن الخليفة هارون الرشيد كان في يده يوما حزمة خيزران ، فقال لبعض أصحابه ، ما هذا ؟ فقال عروق الرماح ياأمير المؤمنين ، وتجنب أن يقول خيزران لموافقة ذلك لاسم والدة الرشيد .

ومن هذا القبيل ما ذكر عن الخليفة المنصور أنه كان في بستان ومعه الربيع فقال له : ما هذه الشجرة ؟ قال : شجرة الوفاق ياأمير المؤمنين ، وكانت شجرة الخلاف ، فتفاءل المنصور بذلك [1] .

وقد سبق أن أشرنا إلى هذا النوع من المحظور اللغوي في نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن استعمال الفعل يراعى لدلالته السلبية في اللغة العبرية[2] ، ونهى الرسول صلى الله عليه سلم المسلمين عن استعمال كلمات

(١) انظر الكناية والتعريض ص ٥٣ ، المنتخب ص ٥٤

(٢) أنظر ص ٣٨ من الدراسة ومابعدها

مثل الخبث ، والكرم ، العبد ، والأمة وغير ذلك لدلالتها السلبية [1] .

ويتصل بهذا المجال الخاص بالمفارقات اللفظية الرمز الذي يراد به التعمية ، أو ايصال المعنى بطريق غير مباشر في بعض المواقف المعينة التي تقتضي ذلك ، كالذي رواه الثعالبي من أن شبابا مشوا مع شيخهم ابن المنكدر وكانوا إذا رأوا امرأة جميلة قالوا فيما بينهم قد أبرقنا وهم يظنون أن ابن المنكدر لا يفطن لمغزاهم فرأوا قبة مجللة فقال أحدهم بارقه ! ، ثم انكشف جلال القبة عن امرأة قبيحة فقال ابن المنكدر : يا أخي هذه صاعقة ! [2] .

كما يذكر الجرجاني من هذا القبيل أن أعرابيا هوى امرأة فأهدى إليها ثلاثين شاة وزق خمر وارسلها مع غلام ، فأخذ الغلام منها شاة ، وشرب بعض الشراب ، ولما وصل إليها قالت : قل له أن الشهر كان عندنا محاقا ، وأن سحيما كان موقوما [3][4] ، وينقل الجرجاني أيضا قول العامة في الدعاء المرموز : لاحاء ولاياء ، يريدون بذلك لا حياه الله ولا بياه [5] .

ويتصل بذلك ما أشار إليه الثعالبي من أن العامة ترمز إلى علاقة الحب والعشق ومعاودتهما بتسخين الأرز ومن ذلك قول الشاعر :

(١) انظر ص ٤١ من الدراسة ومابعدها
انظر الكناية والتعريض ص ٢٠ ،
انظر أيضاً حكاية أصحاب أبي علي الثقفي بنفس الموضع .

(٢) المحق النقصان ويكون للهلال في أول الشهر ، كنايه عن نقصان الشاة وسحيم زق الخمر تعنى بهأنه كان ناقصاً .

(٤) المنتخب ص ٦٣

(٥) نفس المصدر ص ٨٤

كتب ممنوعة ونادره

خلوت بذكركم إذ غاب عنى ... رقيب كنت قدما أتقيه
وبردت المقيل فدتك نفسى ... وتسخين الأرز بطيب فيه

وقال آخر :

ولست أحب الأرز أول طبخه ... فكيف أحب الأرز وهو مسخن (١)

ونقرأ فى كتب اللغة والأدب أن من معانى اللحن الرمز والإشارة أى العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه، ومن ذلك قوله تعالى فى وصف المنافقين « ولتعرفنهم فى لحن القول (٢) » أى طريقة التعبير التى يومون بها إلى معان يفهمها أخوانهم فى الرياء والنفاق ومنه قول الشاعر :

وقد لحنت لكم لكيما تفهموا ... ووحيت وحيا ليس بالمرتاب

كتب ممنوعة ونادرة

وقول الشاعر :

وأدت إلى القول عنهن زولة ... تلاحن أو ترنو لقول الملاحن (٣)

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما علم نقض بنى قريظة العهد فى غزوة الخندق بعث سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، كما أرسل معهما من أرسل قائلا « .. انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا من هؤلاء القوم ، فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه دون القوم » فلما رجع الرسل ذكروا

(١) الكناية والتعريض ص ٥٧

(٢) محمد/٣٠

(٣) أساس البلاغة الزمخشرى لحن

للرسول صلى الله عليه وسلم لفظى « عضل » و « القارة » وهما قبيلتان غدرتا بأصحابه فعلم الرسول من ذلك أن قريظة نكثت العهد (١).

ومما يتصل بهذا المجال أيضا التعريض (٢) بمعنى عدم التصريح المباشر بأمر معين واللجوء ليس فقط إلى لفظ مغاير أو تحسين اللفظ ، بل إلى الكذب المباح ، ومن ذلك ما حكى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفا أبا بكر رضى الله عنه ، وأبو بكر شيخ يعرف، ورسول الله شاب لا يعرف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول له : يا أبا بكر من هذا الذى بين يديك ؟ فيقول : يهدينى السبيل ، فيحسب أنه يهديه الطريق ، إنما أراد سبيل الخير (٣).

ومن ذلك ما ذكره الجرجانى أيضا من أن الخليفة زياد بن عبد الملك قد مرض ودخل عليه القاضى شريح فلما خرج سأله أحدهم :

كيف تركت الأمير ؟ قال : تركته يأمر وينهى .

فقال : أن شريحا صاحب عويص ، فسألوه :

(١) انظر الثعالبى الكناية والتعريض ٥٦/٥٧ ، العمدة ٢١٠/١، الأمالى للقالى ٤/١ السيرة الحلبية ٣٣٧/٢، وكذا لسان العرب لحن

(٢) المعاريض : الكلام الذى يشبه بعضه بعضا ، يقال عرض بالكلام إذا لم يفصح عنه وفى لحديث عمر إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب انظر ص ١٩ من الدراسة

(٣) انظر المنتخب ص ٥٤

فقال: تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء ، يعنى أنه يحتضر (١)

ومن هذا القبيل أيضاً ما حكاه المغيرة بن شعبة قائلا : ما خدعنى أحد قط غير غلام من بنى الحارث بن كعب فإنى ذكرت امرأة تزوجها فقال : لا خير لك فيها ، إنى رأيت رجلا بعد ذلك قد خلا بها يقبلها ، فتركتها وتزوجها الغلام ، ثم سألته بعد ذلك عن الرجل فقال : رأيت أباها يقبلها(٢)

ومن ذلك أيضاً قولهم : تركته بأخى خير أى بشر أو مرض(٣)

ومما يتصل بهذا المجال الخاص بالمفارقات اللغوية ما يمكن أن نصطلح عليه بالتحسين التبكيتى أو التهكمى ironic euphemism أى استعمال لفظ ظاهره المدح وباطنه الذم ، ومن ذلك قوله تعالى بشأن فرعون « ذق إنك أنت العزيز الكريم(٤) » أى الكريم المهين ، وقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب « إنك لأنت الحليم الرشيد (٥) » .

كتب ممنوعة ونادرة

---

(١) انظر المنتخب ص/٥٥

(٢) نفس المصدر ص/٥٥

(٣) أنظر اللسان أخا

(٤) سورة الدخان ٤٩

قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد «هود/٤٩»

من قبيل التبكيت أيضاً قول العرب للرجل الجاهل : يا عاقل(١) ، وفلان من المستريحين لقولهم استراح من لا عقل له(٢) ، وفلان صافى العيش ، وحلو الحياة ، ومنه قول المتنبى(٣) .

تصفو الحياة لجاهل أو غافل … عما مضى منها وما يتوقع

ومن ذلك أيضا ما حكاه الثعالبى قائلا « حدثنى أبو جعفر محمد بن موسى قال : دخلت يوما إلى الشيخ أبى نصر بن أريد ببخارى وعنده علوى مبرم تأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه فلما نهض قال لى أبو نصر : ابن عمك هذا خفيف على القلب ، فقلت : نعم ، مساعداً له على رأيه ، فيتبسم ضاحكا من قوله ، وقال لى : أراك لم تفطن للغرض ، فما زلت أفكر حتى وقع لى أنه أراد خفيفا مقلوبا ، وهو الثقيل(٤) .

---

(١) المنتخب الجرجانى ص/ ١٣٦

(٢) الكناية والتعريض الثعالبى ص/٣٧

(٣) المنتخب الجرجانى ص/ ٦٧

(٤) الكناية والتعريض الثعالبى ص/٣٣

الفصل الثانى

المعتقدات والعادات الاجتماعية

تلعب المعتقدات والعادات الاجتماعية دوراً هاما فى تحديد الكلمات التى تصطدم بمشاعر الجماعة اللغوية وأفكارها عن بعض الأمور الاجتماعية . إن الموضوع أو الشىء الذى تشير إليه الكلمة — وليست الكلمة نفسها — هو فى الحقيقة الممنوع أو المحظور ، كما أن ارتباط الكلمة بهذا الموضوع أو الشىء المحظور يجعل الجماعة اللغوية فى مجتمع ما تعدل عن ألفاظ معينة تدل عليه بطريق مباشر إلى ألفاظ أخرى تشير إليه بطريق غير مباشر من قبيل تحسين اللفظ (١) .

كتب ممنوعة ونادرة

ونجد من هذه المعتقدات والعادات الاجتماعية التى عرفتها الجماعة اللغوية العربية قديما وحديثا عدم التصريح باسم المرأة زوجة ، وأما ، وابنة وأختا ، ويشير إلى ذلك الثعالبى قائلا « .. وكثيراً ما يكنى بلغاء العصر ، وأفراد الدهر عن البنت بالكريمة ، وعن الصغيرة بالريحانة ، وعن الأم بالحرة والبرة ، وعن الأخت بالشقيقة ، وعن الزوجة بكبيرة البيت ، وعن الحرم بمن وراء الستر (٢) .

---

(١) انظر Trudgil, Socialinguistics, pp. 29-32.

(٢) الكناية والتعريض ص ٦

كما روى الثعالبى أيضا بهذا الصدد عن أبى النصر محمد بن عبد الجبار العتبى قوله « لما توفيت والدة الأمير الرضى أبى القاسم نوح بن منصور احتاج خالى أبو النصر العتبى إلى مكاتبة الحضرة فى التعزية عنها ، فلم يرتض لفظة الأم والوالدة فى ذكرها ، فكتب كتابا قال فى فصل منه .. « قد قرع الأسماع نفوذ قضاء الله فيمن كان البيت المعمور ببقائها مصعد الدعوات المقبولة ، ومهبط البركات المأمولة ، فارتضاه كتاب الحضرة (١) » .

ومن ذلك أيضا مانقله الثعالبى من أن خمارويه بن طولون والى مصر الذى زوج ابنته قطر الندى المعتضد الخليفة العباسى ، كتب إليه يذكره حرمه سلفها بسلفه ويصف ماورد عليها من أبهة الخلافة ، وروعة السلطان ووحشة الغربة ، ويسأله ايناسها وبسطها وتقريبها ، فأراد الوزير عبيد الله بن سليمان أن يجيب عن الكتاب بخطه ، فسأله جعفر بن محمد ثوابة أن يعتمد عليه فى الجواب ففعل ، فكتب جعفر بن محمد كتابا قال فى فصل منه « .. وأما الوديعة أعزك الله فهى بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ضامنا بها ، وحيطة لها ، ورعاية لمودتك فيها ، فلما عرضه على الوزير عبيد الله ارتضاه جداً (٢) » .

كما يذكر الجرجانى فى المنتخب بعض التعبيرات التى يكنى بها عن الزوجة مثل « الشفيع العريان » لأن الزوجة تلتقى بزوجها فى الفراش عريانة ،

---

(١) الكناية والتعريض ص ٦

(٢) نفس المصدر والموضع

وإذا صار العريان المرأة ، كما تقول بعض الجميل من الناس ، فلا تأتى بلفظ التأنيث ، وإن كنت تعنى المرأة ، وهذا من فعل عدم التصريح أيضا ، ومن ذلك قول الفرزدق(١) :

أما الرجال فلا تقبل شفاعتهم ... وشفعت بقت مقصور من زيانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا ... مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

كما يكنى عن المرأة أيضا « بالنجى العريان » ، والنجى الذى تناجيه ، لأن المرأة تناجى زوجها وهى عريانة فى الفراش ، ومن ذلك قول الفرزدق أيضا فى ابن قدعقه(٢) :

لما رآنى قد كبرت وأنه ... أخو الجن واستغنى عن المسح شاربه
أصاخ لعريان النجى وأنه ... لازور عن بعض المقالة جانبه

ومن هذه التعبيرات أيضا أم مثوى الرجل : صاحبة منزله ، وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه كتب إليه فى رجل قيل له متى عهدك بالنساء قال البارحة ، قيل بمن ؟ قال : بأم مثواى(٣) .

ومن ذلك هى ثوية الرجل أى امرأته التى يثوى إليها(٤) .

---

(١) المنتخب ص ١٠٤
(٢) نفس المصدر والموضع
(٣) الكناية والتعريض ص ٥٥
(٤) انظر اللسان ثوى

ومن هذا القبيل تسمية العرب المرأة لباسا وإزارا(١) ، ومنه قوله تعالى « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن(٢) » أى لباس الرجل امرأته ، ولباس المرأة زوجها ، وهو من الملابسة أو المخالطة ، أو من الفراش(٣) والسكن لقوله تعالى « وهو الذى جعل لكم الليل لباسا(٤) » وقوله تعالى « وجعل منها زوجها ليسكن إليها(٥) »

ومنه قول الجعدى :

إذا ما الضجيع ثنى عطفه ... تثنت وكانت عليه لباسا

وتقول العرب لبست المرأة : أى تمتعت بها زمانا ، ولبست فلانة عمرى : أى كانت معى شبابى كله(٦)

كما يكنى العرب عن المرأة بالحلة لأن الحلة من اللباس ، وفى حديث

---

(١) قال ابن سيده : الإزار المرأة على التشبيه ، ومنه قول الشاعر
ألا أبلغ أبا حفص رسولا ... فدى لك من أخى ثقة إزارى
قال أبو عمر الجرمى : الإزار هنا المرأة ، وفى حديث بيعة العقبة : لنمنعك مما نمنع منه أزرنا أى نساءنا . انظر اللسان أزر
(٢) البقرة /١٨٧
(٣) ومن ذلك قوله تعالى « وفرش مرفوعة » أى النساء ذات الفرش لأنهن رفعن بالجمال عن نساء أهل الدنيا ، بقوله تعالى بعدها « إنا انشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً » الواقعة /٣٧
ويقال فلان كريم المفارش أى تزوج كرائم النساء
(٤) الفرقان /٤٧
(٥) الاعراف ١٨٩
(٦) انظر اللسان لبس و المنتخب ص ٧

كتب ممنوعة ونادرة

على رضى الله عنه أنه بعث ابنته أم كلثوم إلى عمر رضى الله عنه لما خطبها ، فقال لها قولى له : أبى يقول هل رضيت الحلة ؟[١]

وتكنى العرب أيضا عن المرأة بالقارورة وهى ما قر فيه الشراب وغيره ولا يكون إلا من زجاج ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لسائق الإبل التى كان عليها نساؤه رفقا بالقوارير[٢]، شبههن بذلك لضعفهن لأن الزجاج سريع الكسر ولا يقبل الجبر[٣] .

وتكنى العرب كذلك عن المرأة « بالقوصرة » ، وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوادى ، ومن ذلك الرجز المنسوب لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه :

أفلح من كانت له قوصرة   يأكل منها كل يوم مرة

أراد بالقوصرة المرأة ، وبالأكل النكاح[٤] :

وتكنى عن الزوجة بالحرث ومنه قوله تعالى « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم[٥] ، ومن ذلك قول الشاعر :

---

(١) انظر اللسان حلل

(٢) انظر صحيح البخارى ٨/٥٨ ط الشعب ، المجازات النبوية ص ٣٣ والكناية والتعريض ص ٤٤

(٣) ومن الطريف أننا نجد تعبيراً مرادفاً لذلك فى الإنجليزية هو The weak vessel بمعنى المرأة

(٤) انظر اللسان قصر ، الكناية والتعريض ص ٤

(٥) البقرة / ٢٢٣

إذا أكل الجراد صروف قومى   فحرثى همه أكل الجراد

أى زوجه[١] .

وتكنى العرب عن الزوجة أيضا بالسرحة ، وهى شجرة تنبت على الماء[٢] قال حميد بن ثور :

أبى الله إلا أن سرحة مالك   على كل أفنان العضاة تروق

يقول الثعالبى وإنما كنى عن امرأة مالك بسرحة مالك أحسن كناية ، وقد عبر عن اتفاقها فى الحسن على سائر الغوانى أحسن عبارة ، وقد سلك طريقته فى هذه الكناية من قال :

ومالى من ذنب إليهم علمته   سوى أننى قد قلت ياسرحة اسلمى

نعم فاسلمى ثم اسلمى ثم اسلمى   ثلاث تحيات وإن لم تكلمى

ويستطرد الثعالبى قائلا : وإنما تقع مثل هذه الكناية عمن لا يجسرون على تسميتها ، أو يتذممون من التصريح بها[٣] .

وقد اعتادت العرب أن تعدل عن الإشارة المباشرة للمرأة أو التصريح باسمها واستعملت أسماء بعض الحيوانات للاشارة إليها، مثل النعجة ،والشاة،

---

(١) انظر الكناية والتعريض / ٤ ، والمنتخب / ٧

(٢) انظر اللسان سرح والمنتخب ص/ ٧

(٣) انظر الكناية والتعريض ٣ ، ٤

كتب ممنوعة ونادرة

والقلوص، والبقر والظباء والمها، ومن ذلك قوله تعالى فى قصة داود عليه السلام على لسان أحد المتخاصمين اللذين احتكما إليه « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة(١) » أى امرأة.

ومن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة :

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى   كنعاج الملا تعسفن رملا

ومن الكناية عن المرأة بالشاة قول عنترة العبسى :

ياشاة ما قنص لمن حلت له   حرمت على وليتها لم تحرم

ويقول الثعالبى : كنى عن المرأة، وقال أى صيد أنت لمن يحل له أن يصيدك، فأما أنا فإن حرمة الجوار قد حرمتك على(٢)

وينقل لنا الثعالبى أيضا رسالة أبى المنهال إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى شأن والى مدينته الذى يخالف المغيبات(٣) وعدل فيها عن التصريح

(١) سورة ص/ ٢٣
(٢) الكناية والتعريض / ٣
(٣) نفس المصدر والموضع

كتب ممنوعة ونادرة

بالنساء إلى لفظة القلائص ومفردها قلوص وهى الناقة الشابة فقال(١) :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا   فدى لك من أخى ثقة إزارى
قلائص هداك الله إنا   شغلنا عنكم زمن الحصار
فما قلص وجدن معقلات   قفا سلع بمختلف التجار
يعقلهن جعدة من سليم   غوى يبتغى سقط العذارى

(١) هذه الأبيات لنفيلة الأكبر الأشجعى وكنيته « أبو المنهال »، كتب هذه الرسالة الشعرية لأمير المؤمنين شاكيا والى مدينته جعدة بن أبى عبد الله السلمى الذى كان يخرج الجوارى إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو فيعقلهن، قائلا : لا يمشى فى العقال إلا الحصان، فربما وقعت فتكشفت، فلما وقف عمر رضى الله عنه مع الأبيات أحضره وسأله عن الأمر فاعترف فأمر بجلده مائة جلده وطرده إلى الشام، ولم يأذن له بدخول المدينة. انظر اللسان أزر، وقلص.

رأينا أن الإشارة إلى المرأة مباشرة أو التصريح باسمها يدخل فى دائرة المحظورات اللغوية للجماعة اللغوية العربية ، ولذلك فهى تستعمل ألفاظا محسنة تحمل فى داخلها تصورها للمرأة وعلاقة الرجل بها .

ونجد من هذا القبيل بعض الألفاظ المحظورة التى تعود إلى عادات المجتمع اللغوى وتقاليده ، مثل الكلمات التى تشير إلى الفقراء والبخلاء والجهلاء من الناس ، ونلاحظ أن الجماعة اللغوية تعدل عن هذه الألفاظ المباشرة إلى ألفاظ أخرى محسنة بدافع من الأدب والكياسة وعدم إيذاء مشاعر الآخرين .

ويذكر الثعالبى بهذا الصدد أن أول من كنى عن السؤال بالزوار خالد بن برمك ، وكان عبد الله بن شريك النميرى صار إليه فى جماعة يستميحونه ، وكان الزوار يسمون السؤال ، فقال خالد : أنا والله استقبح هذا الاسم ، وفيهم الأشرف والأجود ، ولكنا نسميهم الزوار ، فقال : له عبدالله والله ما أدرى أميرتنا منك أجل ، أم صلتنا ، أم تسميتنا ، وقال فى يزيد بن خالد الكوفى :

حذا خالد فى جودة حذو برمك ... فمجد له مستطرف وأثيل
وكان بنو الاعدام يعزون قبله ... إلى اسم على الاعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال فى كل موطن ... وإن كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار سترا عليهم ... وذلك من فعل الكرام نبيل [1]

(١) انظر الكناية والتعريض ص ٤٢ ، ٤٣

كتب ممنوعة ونادرة

كما يقص الثعالبى أن الصولى قد نقل هذا الخبر عن المساور بن النعمان الذى ولى كور فارس ، وقد قيل له ذات يوم : قد اجتمع سؤالك ، فقال : ما أقبح هذا من اسم لهؤلاء الزوار ، فسموا به من ذلك اليوم ، وفيه يقول زياد الأعجم :

إن المساور أعطى فى عنايته ... سؤاله أحسن الأسماء للبشر
كانوا يسمون سؤالا فصيرهم ... دون البرية زوارا ولم يجر [1]

ويورد كل من الثعالبى والجرجانى بعض التعبيرات المحسنة التى تشير إلى الفقراء والمحتاجين ، من ذلك فلان قارىء سورة يوسف ، وحافظ سورة يوسف لأنهم كانوا يحفظونها دون غيرها ، ويستكثرون من قراءتها فى الأسواق والجوامع ، لأنها من أحسن القصص ، ومن ذلك قول محمد بن وهب فى هجاء صاحب له :

ولاتنسيا قد كان بالأمس حاكه ... أبوك وعود الخف لم يتقصف
لئن كان للاشعار والنحو حافظا ... لقد كان من حفاظ سورة يوسف [2]

ومن هذه التعبيرات المحسنة التى أوردها الثعالبى فلان لبس أشعار الصالحين أى افتقر ، فلان رقت حاشيه حاله ؛ وداره تحكى فؤاد أم موسى [3] ، وداره تقرأ فيها سورة الطارق ، أى لا يرى فيها سوى السماء

(١) انظر الكناية والتعريض ص ٤٣

(٢) نفس المصدر ص ٤٣ ، المنتخب ١٣١

(٣) إشارة لقوله تعالى « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا » القصص / ١٠

والنجوم ، وجاء فلان فى قميص يقرأ إذا السماء انشقت[١] .

كما ينقل الجرجانى لنا كلمات محسنة أخرى تتصل بهذا الأمر مثل : فلان محرم أى عريان من الثياب تشبيها له بالحاج أو المعتمر[٢] كما يقولون : فلان تحت الحبل ، إذا غسل ثيابه ولم يكن له مايلبسه ومنه قول الشاعر :

عبدك تحت الحبل عريان   كأنه لاشك شيطان
يغسل أثوابا كأن البلا   فيها خليط وهى أوطان[٣]

ويكنون عن الحافى بقولهم فلان بشر إشارة إلى بشر الزاهد الذى كان يمشى حافيا ، ومنه قول ابن سكره الذى سرقت نعله فى الحمام ذات يوم :

ولست بداخل حمام يحيى   ولو حاز المنى طيبا وحرا
تكاثفت اللصوص عليه حتى   يحفى من يسلم به ويعرا
ولم أفقد به ثوبا ولكن   دخلت محمدا وخرجت بشرا[٢]

ومن الألفاظ المحظورة التى يعدل عنها المتكلم تأدبا إلى ألفاظ أخرى محسنة الألفاظ تشير إلى البخلاء ، وقد نقل لنا الثعالبى والجرجانى طائفة من هذه الألفاظ والتعبيرات المحسنة ، مثل : فلان مقتصد ، فلان عارى

---

(١) انظر الكناية والتعريض ص ٤٤
(٢) انظر المنتخب ص ١٣٢
(٣) نفس المصدر ص١٢٦
(٤) انظر الكناية والتعريض ص ٤٤ ، المنتخب ٣٢

الخوان ، نظيف الخوان ، نظيف المطبخ ، نقى القصد ، ومنه قول الشاعر :

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم   طبخ القدور ولا غسل المناديل

وقول آخر :

مطبخ داود فى نظافته   أشبه شىء بعرش بلقيس
ثياب طباخه إذا اتسخت   أنقى بياضا من القراطيس[١]

ومن التعبيرات المحسنة التى تشير إلى البخيل قولهم : فلان أخرس من الكلب ، ومن ذلك قول الفرزدق :

أأنتم بلا نار أم النار جذوة   أأنتم بلا كلب أم الكلب أخرس

ومن ذلك أيضا قولهم : فلان يخنق كلبه ، حتى لاينبح فيدل الأضياف ومن ذلك قول الحطيئة :

دفعت إليه وهو يخنق كلبه   ألا كل كلب لا أبالك نابح[٢]

كما يذكر الجرجانى أن العامة تقول فلان « كعك فيد » كناية عن البخيل الذى لايطمع فيما عنده ، لأن كعك فيد إنما هو زاد الحاج فيودع بها للرجوع فيزداد جفافا[٣] .

ومن هذا القبيل نجد بعض التعبيرات المحسنة التى تشير إلى البخل

---

(١) الكناية والتعريض / ٣٦
(٢) انظر المنتخب/١١٤
(٣) نفس المصدر/ ١١٤

كتب ممنوعة ونادرة

مثل كان ذلك « بوضة الديك » لمن يعطى ثم لا يعود [١] ، فلان « كف الضب » ، لا تبل إحدى يديه الأخرى ، ووكاء لا يبض بشيء [٢] .

من الألفاظ التي تعدل عنها الجماعة اللغوية وتكنى من الألفاظ المحظورة كلمة الجاهل ، وكما يقول الجرجاني أنهم يكنون عن الجاهل باللفظ الجميل ، بقولهم فلان صافى العيش ، وحلو الحياة وفلان من المستريحين [٣] .

كما يذكر أنه يكنى عنه بالتعبير : لا يدرى أي طرفيه أطول ، ومنه قول الشاعر :

أتيتك ممتارا من العلم بلغة ... لمن ليس يدرى أي رجليه أطول
يظن بأن الجمل في القطف ثابت ... وان الذي في داخل التين خردل [٤]

ويقال في الكناية عنه أيضا ، لا يدرى الوحى من السفر ، لا يدرى الحى من اللى ، لا يدرى أي الشهور المحرم ، كما يشيرون إلى الشخص الثقيل بقولهم : فلان طحين الجالبة لأن طحنها خشن ، وهو قدح الابلاب أو رحا البرز ، وفلان حجر ، فلان ليل الشتاء [٥] ، ويقولون فلان خزانة الطرائف لمن جمع العيوب والمساوىء [٦] .

كما يكنون عن الشخص الخسيس بقولهم هو من أصحاب

---

(١) انظر المنتخب/١١٠
(٢) انظر كتابنا التعبير الاصطلاحي / ١٤٦
(٣) انظر المنتخب ص ٦٧ ، والكناية والتعريض / ٣٨
(٤) انظر المنتخب / ١١٣
(٥) انظر المنتخب ١١٠، ١١١ ، الكناية والتعريض / ٣٨
(٦) نفس المصدر ١١٤

الكهف [١] وهو مذكور في سورة الجمعة [٢] ، وهو من المذكورين في سورة النحل [٣] .

ويذكر الثعالبي أن أهل بغداد يقولون لمن ألحد فلان عبر يعنون أنه قد عبر جسر الإسلام ، وقيل لبعضهم : هل عبرت ؟ فقال وقدت في ذلك المكان يكنى عن أنه لم يزل كذلك ، كما يكنون عن الشخص الملحد بقولهم فلان حر ، وهو من الأحرار لأنه خارج عن الشريعة ، كما يكنون عنه أيضا بالخراط ، من خرط كلاب مكة قلائدها ؛ فكأن الملحد بلا دين كما أن كلاب مكة بلا قلائد [٤] »

وكما رأينا أن الجماعة العربية قد عدلت عن بعض الألفاظ المحظورة المتعلقة بصفات سلبية مثل الفقر والبخل والجهل وغير ذلك ، إلى ألفاظ وتعبيرات محسنة ، سنرى أيضا عدولها عن بعض الألفاظ المحظورة المتعلقة بأفعال غير مشروعة مثل الكذب والنميمة والسرقة والرشوة إلى ألفاظ وتعبيرات محسنة للاشارة إلى هذه الأفعال [٥]

ويقل الجرجاني والثعالبي بعض هذه الألفاظ والتعبيرات مثل الفاخته أي الكاذب ومنه قول الشاعر :

---

(١) إشارة لقوله تعالى « ويقولون سبعة ثامنهم كلبهم » الكهف ٢٢
(٢) إشارة لقوله تعالى « كمثل الحمار يحمل أسفارا الجمعة / ٥
(٣) إشارة لقوله تعالى « والخيل والبغال والحمير لتركبوها » النحل / ٨
(٤) انظر الكناية والتعريض ٣٩
(٥) انظر A Dictionary of euphemism, p. 75.

أكذب من فاختة   تقول وسط الكرب

والطلع لم يبدلها   هذا أوان الرطب (١)

ويكنون عن الكذاب بقولهم «فلان أسير الهند» لأنه يدعى أنه ابن ملك وإن كان من السفلة، «وبالشيخ الغريب» لأنه يتزوج في الغربة فيدعى انه ابن أربعين سنة وله سبعون سنة.

كما يقولون فلان مسليمة إشارة إلى مسليمة الكذاب (٢)

وفلان يلطم عين مهران، ومهران رجل يضرب به المثل في الكذب (٣)

أما الشخص النمام ويكنى عنه بلفظ محسن هو «زجاجة» ومن ذلك قول السرى الرفاء.

سألقاك بالبشر الجميل مداهنا   فإني منك خل ماعلمت مداهن

أم بما استودعته من زجاجة   يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن (٤)

كما يكنى عن الشخص النمام أيضا بقولهم فلان «نسيم»؛ ومنه قول السرى الرفاء أيضا:

بياني عنك فاستشعرت هجرا   خلائل فيك لست لها براضى

وإنك كلما استودعت سرا   أنم من النسيم على الرياض (٥)

---

(١) انظر الكناية والتعريض ٨، والمنتخب/١١٣

(٢) انظر المنتخب للجرجاني /١١٢

(٣) انظر الكناية والتعريض ٣٨

(٤) انظر المنتخب / ١١٢

(٥) نفس المصدر/١١٢

كتب ممنوعة ونادرة

كما يقال عنه فلان «يحمل الحطب» أي يمشي بالنميمة ويؤلب بين الناس بالدسائس ومنه قوله تعالى «وامرأته حمالة الحطب (١)».

وتعتبر السرقة من الأفعال غير المشروعة التي تعبر عنها الجماعة اللغوية باستعمال الألفاظ والتعبيرات المحسنة، ومن ذلك قولهم: أخذ فلان يد القميص، أي كم القميص، لأن السارق يقص كمه ويخففه ليكون أقدر على عمله، قال الفرزدق في عمرو بن هبيرة:

أوليت العراق ورافديه   فزاريا أخذ يد القميص (٢)

ومن ذلك أيضا فلان: أبلطهم أي سرقهم ولم يترك لهم شيئا أو تركهم على البلاط (٣)

ومن الأفعال غير المشروعة التي تعبر عنها الجماعة اللغوية باستعمال ألفاظ محسنة أيضا الرشوة؛ وينقل لنا الثعالبي والجرجاني التعبير المحسن «صب الزيت في القنديل»، أو القفدلة (٤)، ويذكر الثعالبي أن يحيى بن خالد ولى ديوان الخراج رجلا من أهل خراسان يقال له أبو صالح فارتشى فعزله وولى مكانه سعدان بن يحيى فقيل فيه:

---

(١) المسد /٤

(٢) انظر الكناية / ٤٠

(٣) انظر أساس البلاغة للزمخشري بلط، ولسان العرب،

(٤) انظر الكناية ٥٢، والمنتخب/١٧٠

صب في قنديل سعدا ... مع التسليم زيتا
وقناديل بنيسة ... قبل أن يخفى السكيتا

فعزله يحيى وأعاد أبا صالح فقيل فيه :

قنديل سعدان على ضوئه ... فرخ لقنديل أبي صالح
تراه في مجلسه أحولا ... من لمحة للدرهم اللائح

ويقول الشاعر ابن لنك في هجاء الفقهاء (١) :

أقول لعصبة بالفقه صالت ... وقالت ماخلاذ العلم باطل
أراكم تقلبون الحكم قلبا ... إذا ماصب زيت في القناديل

كتب ممنوعة ونادرة

ونجد طائفة أخرى من الكلمات التي تشير إلى أمور تصطدم بعادات المجتمع وتقاليده وتدخل في دائرة المحظورات اللغوية مثل كلمات لقيط، ابن الزنا، وقد نقل الثعالبي والجرجاني بعض الألفاظ المحسنة التي تعبر عن ذلك مثل لفظ « الفرخ » الذي يكنى به أهل المدينة عن اللقيط ويورد لنا الجرجاني هذه القصة قائلا « كان جعفر بن يحيى وزير الرشيد يأكل معه ذات يوم دجاجا، فقال الرشيد لجعفر يمازحه ، قاسمني لتستوي في أكلها ، فقال قسمة عدل أم قسمة جور ؟ فقال الرشيد قسمة عدل ، فأخذ جعفر فرخين وترك واحدا .

(١) الكناية / ٥٣ ، والمنتخب / ١٠٧
انظر كتابنا التعبير الاصطلاحي ص ٢٨٧

فقال الرشيد : أهذا العدل ؟! قال نعم : فرخان ومعك فرخان .

قال : فأين الآخر ، قال : هذا ، وأومأ للفضل بن الربيع الذي كان واقفا بجانبه » (١)

وقد كان الربيع مطعونا في نسبه لا يعرف له أب ، ويحكي أيضا أن رجلا دخل على المنصور فقال له : متى مات أبوك وما كان سبب موته ؟ فجعل يقول اعتل رحمه الله بكذا وكذا ، فقال الربيع كم تترحم على أبيك بين يدي أمير المؤمنين ، فقال الرجل : لا ألومك فإنك لا تعرف حلاوة الآباء فضحك المنصور وخجل الربيع (٢) .

ومن التعبيرات المحسنة التي تشير إلى اللقيط قولهم : فلان « تربية القاضي » لأن القاضي يأمر بتربية اللقطاء والإنفاق عليهم (٣) ، ويشيرون إليه كذلك بقولهم فلان من « موالي النبي » صلى الله عليه وسلم لقوله أنا مولى لمن لا مولى له، ومنه قول أبي نواس :

وجدنا الفضل أكرم من رقاش ... لأن الفضل مولاه الرسول (٤)

كما يكنون عنه « بالفقعة » لأنه لا عرق لها ولا أغصان، وهي الكمأة البيضاء ومنه قول الشاعر :

(١) انظر الجرجاني ص ١٤ والثعالبي الكناية / ٥٨
(٢) الجرجاني ص ١٤
(٣) المنتخب ١٣١ ، الكناية / ٣٨
(٤) انظر الكناية ص ٣٩

قوم إذا نسبوا يكون أبوهم   عند المناسب فقعة فى قرقر[(١)]

يتقل الجرجانى أيضا بعض التعبيرات الحسنة التى تشير إلى اللقيط مثل « ابن الطريق » ، ومنه قول ابن الرومى .

يا ابن الطريق ويا ابن ألفى والد   وابن الطريق لصادر ولوارد
ما فيك موضع لسعة لبعوضة   إلا وفيه نطفة من واحد

« وابن مطفئة السراج » ومنه قول الأقيشر :

أتدعونى الأقيشر ذاك اسمى   وأدعوك ابن مطفئة السراج
تناجى خدنها بالليل سراً   ورب الناس يعلم ما تناجى

« وآخر الصك » ، ومنه قول ابن الرومى :

لك وجه كآخر الصك فيه   لمحات كثيرة من رجال
كخطوط الشهود مشتبهات   معلمات أن لست بابن حلال[(٢)]

كما يتصل بهذا المجال فى المحظورات اللغوية الخاص بالمعتقدات والعادات الإجتماعية الألفاظ التى تشير إلى أمور ترتبط بالتفاؤل والتشاؤم، ومن ذلك ما تذكره كتب اللغة المعاجم [(٣)] أنه مما يتفاءل بذكره قولهم للفلاة

---

(١) المنتخب ص /١٤

(٢) المنتخب/١٣، ١٤

(٣) انظر اللسان فوز، أساس البلاغة الزمخشرى فوز .

مفازة ؛ لأن القفار فى ركوبها الهلاك، فكأن حقها أن تسمى مهلكة ولكنهم حسنوا لفظها تطيراً بها ، وعكسوه تفاؤلا ، ومن ذلك قول الشاعر .

أحب الفأل حين رأى كثيراً   أبوه عن اقتناء المجد عاجز
فسماه لقلته كثيراً   كتلقيب المهالك بالمفاوز[(١)]

كما نجد أيضا استعمال الجماعة العربية كلمة « قافلة » للناهضين فى إبتداء السفر تفاؤلا بأن ييسر الله لهم القفول عند سفرهم الذى ابتدأوه[(٢)] .

تشمل دائرة المحظورات اللغوية أسماء بعض الحيوانات والحشرات التى تتخوف الجماعة اللغوية وتتشاءم من ذكرها أو التصريح باسمها مباشرة وقد أشرنا إلى أن اللغات الأوربية تشير إلى العرسه Weasel [(٣)] بأسماء محسنة مختلفة ، ويذكر الجرجانى أن العرب تكنى عن الحشرات « بجنود سعد »، ويريدون سعد الأخبية لأنه إذا طلع انتشرت الهوام ، وخرج منها مختبئا[(٤)] كما تعرف العربية أسماء محسنة لبعض الحيوانات مثل « أم عامر » للضبع « وأبو مذقة » للذئب[(٥)] .

---

(١) المنتخب ص ٥٤ ،الكناية ص ٥٥

(٢) انظر اللسان قفل .

(٣) انظر Ullmann : Semantics, p. 206.
وكذلك الدراسة ص٥١

(٤) انظر المنتخب ص ١٣٠

(٥) انظر كتابنا التعبير الاصطلاحى ٢٧١/ ١٧٣

كتب ممنوعة ونادرة

مما يتصل بهذا المجال من المحظورات اللغوية التى تعود إلى العادات والتقاليد فى المجتمع ما ذكره الجرجانى فى الفصل الخاص من الكناية عن الصنعة الحسقة ، مثل قولهم « العطار » كناية عن الكناس فى كثير من البلدان ، وقولهم للحداد « مستخدم الرياح » ومن هذا ما يروى أن دلالة دخلت إلى قوم تخطب إليهم فقالوا :

وما صناعته ؟ فقالت . يكتب بقلم حديد ، ويختم بالزجاج ، ففهموا أنه حجام(١) .

(١) انظر المنتخب ص ٥٦ ، ٥٧
انظر ص ٥٠ من الدراسة .

الفصل الثالث

المرض والموت

يمثل الحديث عن المرض والموت وما يتصل بهما نوعا من الخوف والألم لدى كل جماعة لغوية التى تعتقد أن التصريح بكلمات وعبارات تشير إليهما يجلب الشر والضرر(١) ، ولذا فهى لا تصرح بهما مباشرة وتعتبر كل الألفاظ التى توحى بالمرض والموت من قبيل المحظور ولذلك تعدل عنها إلى الألفاظ وتعبيرات محسنة

وقد سبق أن أشرنا إلى أن اللغة الإنجليزية قد عدلت عن لفظ Addle الذى يشير إلى المرض ويعنى حرفيا بمعنى القذارة dirt إلى لفظ disease بمعنى مرض ، ويعنى حرفيا فقدان الراحة Lack of ease (٢) .

ومن هذا القبيل يذكر لسان العرب أن اللديغ يسمى سليما(٣) من السلامة وذلك على التفاؤل له ويقال ورجل سليم بمعنى سالم ، وإنما سمى بذلك لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى ومن ذلك قول الشاعر :

كتب ممنوعة ونادرة

(١) انظر Schlauch : The gift of Language, p. 279.
(٢) انظر Ullman : Semantic, p. 187.
(٣) السلم لدغ الحية يقال سلمته الحية لدغته اللسان سلم .

فلو أنني كنت السليم لعادني سريعا ولم تحبسك عني الـكوداس (١)

وقد يستعار السليم للجريح، ومنه قول الشاعر:

وطيري بمخراق أشم كأنه سليم رماح تفـله الزعانف (٢)

وقيل السليم الجريح المشفي على الهلكة، ومنه قول الشاعر.

يشكو إذا شد له حزامه شكوى السليم ذربت كلامه (٣)

وفي الحديث أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم مروا بماء فيه سليم، فقالوا هل فيكم من راق (٤)

وتذكر كتب اللغة والأدب أن للعرب تطير من ذكر البرص فتكني عنه بالوضح (٥)، ومنه قيل لجذيمة الأبرش الوضاح وفي الحديث: جاء رجل بكفه وضح أي برص (٦).

ويذكر الجرجاني أن أهل بغداد يكنون عن الجرب «بحب الطرب» وربما صغروه فقالوا حبيبات الطرب (٧) ويذكر الثعالبي أنه يكنى عن بوجهه

---

(١) انظر شرح أشعار الهذليين / تحقيق عبد الستار فرج ١/٢١٧

(٢) انظر اللسان سلم.

(٣) نفس المصدر والموضع.

انظر أيضا الكناية ص ٥٥، والمنتخب ص ٦٥.

(٤) صحيح البخاري ٧/ ١٧٠ ط الشعب.

(٥) الوضح: بياض الصبح، والقمر، والبرص الذي يكون في الصدر والظهر والوجه انظر اللسان، وضح.

(٦) انظر الكناية والتعريض ٣٥، المنتخب ٥٣ اللسان وضح.

(٧) انظر المنتخب ص ١٢٣.

أثر بالمشطب، ويقولون بفلان «نقش الكرسي»، أي مجدور تشبيها له به (١)

ويكنون عن الأقرع «بأبي جعد»، «ذؤابة تبخر» (٢).

وتعتبر أيضا الألفاظ التي تشير إلى العاهات وقبح الخلقة من المحظورات اللغوية التي يعدل عنها المتكلم إلى ألفاظ أخرى محسنة، ومن ذلك الإشارة إلى الأعمى بكلمتي «البصير» «المحجوب» (٣)، ويذكر الثعالبي أنه لما أراد المتوكل من أبي العيناء الشاعر أن ينادمه قال له: يا أمير المؤمنين أنا محجوب (أي أعمى)، والمحجوب يجوز قصده، ويقبل على من لا يقبل عليه، وكل من في مجلسك يخدم وأنا أحتاج أن أخدم فيه (٤)»، كما يكنى عن الأعور بالممتع تطيرا من ذكر العور (٥)، ومنه قول الشاعر:

ولقيت بالكافي عمى جهالة وإن كان أمرا لا يجز عندك أوقعا

كما سمى الأعمى بصيرا وسمى اللديغ سليما أو الخل عقعقا (٦)

ويكنى عن الذي في عينه بياض بالكوكبي أو الكوكب (٧).

---

(١) الكناية والتعريض /٣٢.

(٢) المنتخب/ ٥٣.

(٣) الكناية /٥٣، المنتخب /٥٥.

(٤) الثعالبي الكناية ص ٣٦.

(٥) نفس المصدر/٣٦

(٦) المنتخب/٥٣.

(٧) الكناية والتعريض /٣٦.

كتب ممنوعة ونادرة

ومما يتصل بذلك قولهم للاسود أبيض [١] ، وقولهم للحبشى أبو البيضاء ،
ومنه قول الشاعر :

ويكنى أبا البيضاء واللون حالك   ولكنهم جاءوا به للتطير [٢]

وقولهم للرجل قبيح الخلقه مشوه الصوره « له قرابات فى اليمن » لأن القرود تكثر بها ، وإن كان شديد الأدمة مع الدمامة قيل : كأن وجهه قمر الثلاثين [٣] .

ومن الألفاظ والتعبيرات المحسنة التى ترتبط بهذا المجال أيضا فلان « مكتوب القميص » إشارة إلى الشخص المجنون لأنه يكتب على قميصه لا يباع ولا يوهب [٤] ، وفلان « من أهل الجنة » إشارة إلى الشخص الأبله ، لقوله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله [٥] وإذا كان أحمق ، قيل

---

(١) ومنه قولهم للأسود فى العامية الفرنسية être chocolat
انظر Ullmann : Semantics, p. 151.

(٢) الكناية والتعريض ص٥٣

(٣) الكناية والتعريض/٣٢

(٤) الكناية والتعريض /٤١

(٥) نفس المصدر ص٣٧
ومنه قولهم للأبله فى الإنجليزية idiot وتعنى الكلمة حرفيا شخص متميز
وقولهم للأحمق Silly وتعنى الكلمة حرفيا المبارك أو السعيد .
انظر Ullman, p. 207.

« نعته لا ينصرف » [١] ، وإذا كان قليل الدماغ قالوا فلان « فارغ الغرفة »
ومنه قول الشاعر :

صاحبنا أحواله عالية   لكنما غرفته خالية [٧]

يعتبر ذكر الموت من الموضوعات غير المحببة للانسان ، بل من الموضوعات التى تثير فيه مشاعر الخوف والألم ، ولذلك فإننا نجد المتكلم لا يصرح فى كلامه بلفظ الموت ويعدل عنه إلى ألفاظ وتعبيرات أخرى محسنه .

تعرف اللغات الأوربية مثل الإنجليزية عدداً كبيراً من التعبيرات المحسنة التى تشير إلى حالة الوفاة [١] ، ومثال ذلك .

Passing, on passing away, being taken away
To go west, To go home in a Box, To Cross-over,
To go to his account, To pay debt of Nature
To got to the better place
To come into the world
To be in the last getway

---

(١) الكناية والتعريض ص/٣٧

(٢) نفس المصدر / ٣٨ .

(٣) انظر A Dictionary of Euphemisms, pp. 143-161.
English Idioms, p. 255.

كتب ممنوعة ونادرة

تعرف اللغة العربية أيضا مثل هذه التعبيرات والألفاظ المحسنة التى تشير إلى الموت ، منها كلمة اليقين فى قوله تعالى « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »(١).

كما يكنون عن الموت بهادم اللذات لقوله صلى الله عليه وسلم « أكثروا من هادم اللذات » ، ومنه قول أبى العتاهية :

رأيت المنايا قسمت بين أنفس ونفسى سيأتى بعدهن نصيبها(٢)
فيا هادم اللذات ما منك مهربا تحاذر نفسى منك ما سيصيبها

كما يكنون عن الموت بأبى يحيى ومنه قول الشاعر

سريعة موت العاشقين كأنما يغار عليهم من هوام أبو يحيى(٣)

يخصص الجرجانى الباب الثالث عشر من كتابه المنتخب للألفاظ المتطير بها والتى يعدل عنها إلى الألفاظ المحسنة ، ونلاحظ أن معظم هذه الألفاظ والتعبيرات تشير إلى الموت مثل .

لحق فلان باللطيف الخبير ، اختاره الله ، استأثر به الله ، نقله إلى جواره ، سعد بجواره ، نقله إلى دار رضوانه(٤).

---

(١) الحجر / ٩٩
(٢) المنتخب/٤٩
(٣) المنتخب /٤٩ ، الكناية والتعريض / ٥٥
(٤) المنتخب /٤٨ ، ٥٠

قضى نحبه ، والنحب : النذر وكان الموت كالنذر المحتم على الأعناق مضى لسبيله ، دعى فأجاب ، استوفى أكله ، خلى مكانه ، ضحى ظله ، أى صار ظله شمسا ، وإذا صار الظل شمسا بطل صاحبه .

لعق أصابعه ، اصفرت أنامله ، قرض رباطه ، زال الشراك عن قدمه ، شالت نعامته ، حلقت به العنقاء(١) .

يعتبر الحديث عن القتل أيضا من الأمور المكروهة للانسان وتدخل فى دائرة المحظورات ويؤكد الجرجانى ذلك بقوله « واعلم أن العرب كما يكنون عن الموت تطيراً من ذكره ، كذلك يكنون عن القتل ، فيقولون : ركب فلان الأغر الأشقر(٢) إذا قتل ، وركب فلان ردعه(٣) ، فزل فلان بجعجاع(٤) ، أى قتل .

ويذكر الثعالبى فى الفصل الخاص بالكناية عن القتل هذه التعبيرات المحسنة : سقى الأرض من دمه ، عدم برد الحياة ، ذاق حر المرهفات(٥) .

---

(١) انظر المنتخب /٤٩ ، ٥٠
(٢) الأغر الأشقر : صفة الدم قد قامت مقام الاسم الذى استغنى عن ذكر صفته التى يعرف بها .
(٣) أصله فى السهم يرمى به فيرتدع نصله فيه ، وقولهم ركب ردعه : أى دخل عنقه فى جوفه
(٤) المنتخب /٥١
(٥) الكناية والتعريض/٤٨
انظر أيضا كتابنا التعبير الاصطلاحى ١٥٤ — ١٥٥

كتب ممنوعة ونادرة

الفصل الرابع

الأمور الجنسية

تمثل الألفاظ التى تشير إلى الأمور الجنسية أهم وأكبر مجال من المجالات الدلالية المحظورات اللغوية فى كل المجتمعات اللغوية، ونلاحظ ذلك من خلال المعاجم المهتمة بذلك[1]، كما تصدق هذه الملاحظة على كتابى الثعالبى الكناية والتعريض والمنتخب للجرجانى حيث تشكل الألفاظ والتعبيرات المحسنة التى تشير إلى الأمور الجنسية قسطاً كبيراً من الكتابين.

يخصص الثعالبى فى كتابه فصلا فى الكناية عما يجرى بين الرجال والنساء على حد تعبيره من إتباع الشهوة والتماس اللذة وطلب النسل، مما جاء ذكره فى القرآن الكريم مثل: قوله تعالى «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن»[2].

وقوله تعالى «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم»[3]

وقوله تعالى «أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً»[4]

---

(١) انظر A Dictionary of Euphemisms

(٢) البقرة / ١٧٧

(٣) البقرة / ٢٢٣

(٤) النساء / ٤٣

وقوله تعالى «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد»[1]

وقوله تعالى «فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة»[2]

وقوله تعالى «وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض»[3]

وقوله تعالى «فلما تغشاها حملت حملا خفيفا»[4]

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام «هى راودتنى عن نفسى»[5] فسبحان الله ما أجمع كلامه للمحاسن واللطائف..»[6]

ويذكر الجرجانى أن العرب تقول فى الكناية عن دخول الإنسان بأهله بنى فلان على أهله، وأصله أن كل من أراد الزفاف بنى عليها قبة، فقيل لكل داخل بان، ومنه قول الشاعر:

أيا من لذا البراق الجانى ... يلوح كأنه مصباح بانى

أراد مصباح بان بأهله لأنه لا يطفأ[7].

---

(١) البقرة / ١٨٧.

(٢) النساء / ٢٤

(٣) النساء / ٢١

(٤) الأعراف / ١٨٩

(٥) يوسف / ٢٦

(٦) الكناية والتعريض ص ٩، ١٠. انظر أيضا المنتخب ٦، ٧

(٧) المنتخب / ١٦

كتب ممنوعة ونادرة

كما يروى أن أهل بغداد يقولون : كلم فلان فلانة أى دخل بها وتعرف الإنجليزية تعبيراً مشابهاماخوذاً من العهد القديم وهو Adam Knew Eve [١] وتقول العرب فى عفة الرجل : ماوضعت امرأة عنده قناعا ، ومن ذلك أيضا من كشف قناع امرأة وجب لهـا المهر كناية من الدخول بها[٢]، وفى الحديث : أيما رجل أغلق بابه على امرأته وأرخى دونها إستارة فقد تم صداقها »[٣] والإستارة من الستر كالستارة ، ومنه قول حاتم الطائى :

وماتشتكينى جارتى غير أنى إذا غاب بعلها لا أزورها
سيبلغها خيرى ويرجع بعلها إليها ولم تسبل على ستورها

فكنى بإسبال الستر عن الفعل ، لأنه يقع على هذه الصفة غالبا[٤].

وكما وجدنا فى القرآن الكريم التعبيرات المحسنة تشير إلى العلاقــة الخاصة بين الرجل والمرأة ، نجد أيضا تعبيرات محسنة فى الحديث تشير إلى هذه العلاقة ومثل ، « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل [٥] » وأيضا إذا التقى الرفغان فقد وجب الغسل [٦] » كناية عن الجماع .

---

(١) انظر A Dictionary of Euphemisms, p. 206.
(٢) المنتخب /١٧
(٣) النهاية لابن الاثير ستر ، الفائق للزمخشرى ، ستر
(٤) المنتخب / ١٠
(٥) النهاية لابن الاثير ، الفائق للزمخشرى / ختن
(٦) النهاية لابن الاثير ، الفائق للزمخشرى / رفغ

كتب ممنوعة ونادرة

ومن ذلك أيضا ماروى عن امرأة رفاعة القرظى التى طلقها طلاقا بائنا وتزوجت برجل آخر شكته إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له أن الذى معه كهدبه الثوب (أى أنه عنين لا يستطيع جماعها) فقال صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعى لرفاعة ، لا حتى تذوقى عسيلته وتذوق عسيلتك (كناية من ضرورة الجماع بينهما شرطا لرجوعها لزوجها الأول)[١].

تعرف العربية كثيراً من التعبيرات المحسنة التى تصف العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة ويتجنب بها المتكلم الألفاظ المباشرة والصريحة تأدبا وكياسة ومن ذلك اللفـظ المحسن الذى يشير إلى التقبيل فى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصيب من الرأس وهو صائم[١] » أى كان يقبل نسائه وهو صائم .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الفعل يقبل baiser فى الفرنسية كثيرا مايعدل عنه الفرنسى إلى الفعل embrasser بمعنى يقبل و الذى يعنى حرفيا يحتضن[٢].

ونجد فى اللغتين العربية والإنجليزية بعض الألفاظ المحسنة التى تشير إلى العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة ، فيذكر الثعالبى «دواء السهر» كناية

---

(١) الكناية والتعريض /٨
انظر أيضا النهاية لابن لاثير والفائق للزمخشرى / عسل
(٢) انظر المنتخب للجرجانى ص ٧
(٣) انظر Ullman : Semantics, p. 209

عن النكاح ، وتعرف الإنجليزية من ذلك تعبير night work كما يكنى عنه « بالحلج » ، ويقابله الإنجليزية The Grind أى الطحن.(١)

ويذكر الجرجانى أن البغداديين يقولون فى الكناية عن النكاح «يحرك سريرها » ، ومن ذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه خرج فى بعض الليالى فسمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل وأزور جانبه ... وأرقنى أن لاخليل ألاعبه
فوالله لولا الله لاشىء غيره ... لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكنى أخشى الإله وأتقى ... وأكرم بعلى أن تنال مراكبه(٢)

ومن ذلك أيضا « صر الفراش »، كما تقول العامة فلان « يجلى مرآته » « ويرقع خرقة » ، « يصلح » لها ، «ويسوى » لها .(٣)

ومن التعبيرات التى تعرفها الإنجليزية فى هذا :

To have Business with, Discussing Uganda,
Shake Bones, To Cook, Riding

كما تعرف اللغة العربية تعبيرات أخرى محسنة تشير إلى العلاقة غير السوية بين الرجل والمرأة ، ومن ذلك «التحميض » أى اتيان المرأة فى دبرها

(١) انظر الكناية والتعريض ١٠ ، المنتخب / ١٩
A Dictionary of Euphemisms, pp. 209-215.

(٢) المنتخب/ ١٤ ، الكناية/ ١٠

(٣) المنتخب/ ١٨

(٤) انظر A Dictionary of Euphemisms, pp. 219-223.

مأخوذ من تحميض الإبل ، وهو تحولها من رعى الخلة وهو الحلو من النبات إلى الحمض منه ، فكأن الرجل تحول عن خير المكانين إلى شرهما من قبيل الشهوة المعكوسة(١) .

ويذكر الجرجانى أن العرب تقول فلان « يأخذ الجار بالجار » كناية عمن يأتى امرأته فى غير موضع الحرث(٢) ، ويذكر أيضا أن العامة فى زمانه يقولون لمن يأتى امرأته فى الموضع المكروه فلان « يصعد إلى الجبل » ، وتقول العامة فى الشىء المفرى عنه فلان « يقلب السمكة » و « يقلب المائدة »(٦) .

ومن ذلك «تحويل الرحل» ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه قال : يارسول الله حولت رحلى البارحة ، كنى برحله عن زوجته أراد غشيانها فى قبلها من جهة ظهرها لأن المجامع يعلو المرأة مما يلى وجهها »(٣)

ومن الألفاظ المحظورة التى تعرفها كل المجتمعات اللغوية الكلمات التى تشير إلى الأعضاء الخاصة private parts للرجل والمرأة ، وتعرف العربية الكثير من الكلمات المحسنة التى تشير إلى ذلك ونجدها فى المعاجم وكتب اللغة والأدب ، وقد ذكر الثعالبى والجرجانى طائفة منها مثل :

(١) انظر اللسان حمض ، النهاية لابن الأثير حمض

(٢) انظر المنتخب ص ٢٥

(٣) نفس المصدر ص ٢٧

(٤) انظر اللسان رحل ، النهاية لابن الأثير رحل

كتب ممنوعة ونادرة

« المفتاح » اشارة لذكر الرجل ، ومنه قول ابن الرومي :

إن تركت هناك حياءها وتبدلت ... شبقاً وعند المفتاح يفسى الداح

ويذكر الثعالبى أن جفان المغنية المدنية كانت تسكنى عن متاع الرجل « بمفتاح اللذة »(١) .

كما يكنى عن عضو الرجل بالعصا ، والناى ، والموز ، والقثاء ، ويكنى عن ختان الرجل بقطف الثمرة(٢) ومنه قول الشاعر :

إلى عايجين لم تقطف ثمارهما ... قد طال ماسجدا للشمس والقمر

ونجد فى اللغة الإنجليزية ألفاظاً محسنة متشابهة تشير إلى عضو الرجل مثل :

(٤)Pencil, (٣) Knife, Sanke, Mr. Jack, Mr. Tom, Saint Peter

كما تعرف تعبيرات أخرى محسنة مثل (٥)

Oldman. Shortarm (non-crect penis) Longarm (erect penis)

ونقرأ أيضا فى معجم تحسين اللفظ فى الإنجليزية ، ألفاظا محسنة أخرى تشير إلى عضو المرأة مثل : Box, Basket, Purse, Bread, Cobbage (٦)

---

(١) انظر المنتخب / ٢٠ الثعالبى / ٩

(١) انظر الجرجانى ، ٣٥ ، الثعالبى ١٠ ، ١٥

(٣) يذكر الجرجانى أيضا أن العامة تكنى عن عضو الرجل بالسكين المنتخب ٢١
ونلاحظ أن مثل هذه الألفاظ المحسنة التى تتعلق بالأمور الجنسية تتشابه فى كثير من اللغات .

(٤) انظر A Dictionary of Euphemisms, pp. 33-34.

(٥) انظر Ibid, pp. 28-30.

(٦) انظر Ibid, p. 29.

كتب ممنوعة ونادرة

كما(٣) نجد تعبيرات أخرى محسنة مثل (١) Laday flower, Laday star, Button hole

أما غشاء البكارة فيكنى عنه فى الإنجليزية بـ maiden head أو cherry (٢)
ويكنى عنه فى العربية بـ « الخاتم » ، واللؤلؤة ، « والصدفة » ، ويكنى عن فض غشاء البكارة « بفض الخاتم » ، « فض الصدف » ومنه قول الشاعر :

أبا جعفر هل فضضت الصدف ... وهل إذ رميت أصبت الهدف

وهل جئت ليلا بلا حشمة ... لطول السرى سدفا فى سدف

كما يكنى عن ذلك أيضا بثقب اللؤلؤ ومنه قول الشاعر :(٣)

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطى إلى مالم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

وتعرف العربية تعبيرات محسنة مثل : « باتت بليلة شيباء » المرأة التى افترعت ، « وباتت بليلة حرة » المرأة التى لم يقدر زوجها على افتضاضها ، كما يقال لأول رجل يدخل بها « فلان أبو عذرها »(٤) .

كما نقرأ فى المعاجم وكتب اللغة والأدب ألفاظاً محسنة تشير إلى عضو المرأة وقد أورد الثعالبى والجرجانى فى كتابيهما بعضا منها ومن ذلك: [illegible]

---

(١) انظر A Dictionary of Euphemisms, pp. 28-30.

(٢) انظر Ibid p. 29.

(٣) انظر الجرجانى ٢٢ ، ٢٣ ، الثعالبى ١٣ ، ١٤

(٤) انظر الجرجانى ٢٢ ، ٢٣

والترس ، والصاد، الخبز ، التين ،[١] والجحر، ومن ذلك حديث السيدة عائشة رضى الله عنها « إذا حاضت المرأة حرم الجحران [٢] » أى اجتمع الاثنان فى الحرمة بعد ما كانت الحرمة فى إحداهما أى قبل المرأة ودبرها .

ومن ذلك أيضا ماذكره الجرجانى من أن العرب تكنى عن الفرج بمطلب الأنف ، ويقولون فلان لا يحمى مطلب أنفه ، أى فرج أمه لأن الولد إذا تمت أيامه فى الرحم كره مكانه وضاق بموضعه فطلب أنفه ، أى موضع المخرج فيصير فمه رأسه إلى فم الرحم تلقاء الفرج : يقول الشاعر :

من كان لا يغضب لمطلب أنفه   من أمه أو عرسه لم يغضب

أى من لم يحم فرج أمه وامرأته لم يغضب من شىء يؤتى إليه بعد ذلك[٣] .

تشمل دائرة المحظورات اللغوية الخاصة بالعلاقات الجنسية العلاقات الشاذة التى يعدل المتكلم عن ذكرها مباشرة ويلجأ إلى كلمات وتعبيرات محسنة ، وقد أورد الثعالبى والجرجانى كثيراً من الألفاظ والتعبيرات المحسنة التى تعبر عن العلاقة الشاذة بين الذكور « اللواط » ، والعلاقة الشاذة بين الإناث (السحاق) ، والعلاقة غير الشرعية بين الرجل والمرأة (الزنا) .

ومن التعبيرات المحسنة التى تشير إلى العلاقة الشاذة بين الذكور فلان

(١) انظر الجرجانى ٣٤ ، ٣٥

(٢) الفائق للزمخشرى ، النهاية لابن الاثير/اللسان جحر

(٣) انظر الجرجانى /٢٧ ، الثعالبى /٧

« يؤثر صيد البر على صيد البحر » ، فلان « يصطاد من الشط » ، فلان « يقول بالظباء ولا يقول بالسمك »[١] ومنه قول الشاعر :

لا أركب البحر ولكننى   أطلب رزق الله فى الساحل

فلان « يحب الحملان ويبغض النعاج » ،[٢] ومنه قول الشاعر :

إنى امرؤ أبغض النكاح وقد   يعجبنى من نتاجها الحمل

فلان « يزور البيت من خلفه » ، فلان « يصلى بظاهر المحراب » [٣] ،

ومنه قول الشاعر :

آتى البيوت من الظهور ولا أرى   إتيان بيت من خلال الباب

لا أدخل المحراب وقت فريضة   وأرى الصلاة بظاهر المحراب

فلان « يكتب فى الظهور » ، فلان « يحب الميم ويبغض الصاد »[٤] ،

ومنه قول الشاعر :

إن ملوك الأرض فى عصرنا   قد فضلوا الميم على الصاد[٥]

(١) انظر الجرجانى /٣٣ ، الثعالبى/ ٢٣

(٢) انظر الثعالبى / ٢٦

(٣) انظر الجرجانى / ٢٩

(٤) انظر الجرجانى/ ٢١ ، الثعالبى / ٢٦

(٥) الميم كناية عن دبر الرجل ، والصاد كناية عن قبل المرأة

كتب ممنوعة ونادرة

وقال آخر :

لمجم الصاد أرضى الله قدما   وعبد الله يعجم كل ميم

كما نجد تعبيرات أخرى محسنة تشير إلى الشخص الشاذ جنسيا مثل: فلان « يشم التراب »، فلان « يخرالأذقان » ، فلان «أسجد من هدهد» (١)

ومن ذلك قول الشاعر :

فى الحسن طاووس ولكنه   أسجد فى الخلوة من هدهد

ومن ذلك فلان «يحب الناى» ، «ويخبأ العصا» ، وفلان «عصاموسى» « يجمع الميم بالقلم » . « ويأخذ القلم » (٢) ومنه قول الشاعر :

يكفر بالرسل جميعا سوى   موسى بن عمران لأجل العصا

وقول الشاعر :

أن ابن سرور فتى كاتب   يأخذ من كل صديق قلم

مستحسن الشاوة ذاشارة   من أحذق الناس بحمل القلم

ومن الألفاظ المحسنة التى تشير إلى الشخص الشاذ فلان أقحونه ، إبرة ، مباشرموس ، منقلب الداء ، به داء الملوك ، والمذهب الأكبر (٣) .

---

(١) انظر الجرجانى /٣١

(٢) انظر الجرجانى /٣٦ ، الثعالبى /٢١

(٣) انظر المنتخب : ٣٥ ، ٣٨ ، الكناية والتعريض / ١٩

كتب ممنوعة ونادرة

إن مثل هذه الألفاظ والتعبيرات المحسنة تعرفها بشكل متشابه فى كثير من الأحيان (١) اللغات المختلفة مثل الإنجليزية التى نجد فيها ألفاظا وتعبيرات تشير إلى الشخص الشاذ جنسيا (٢) مثل :

Chicken, kid, Lamb, pour

Three letter man, to Ride the deck

To kneel at the alter

وفى مقابل الألفاظ والتعبيرات المحسنه التى تشير إلى العلاقة الشاذه بين الذكور نجد ألفاظا وتعبيرات محسنة تشير إلى العلاقة الشاذة بين الإناث ونورد بعضا مما اثبته الجرجانى فى كتابه مثل: فلانة « معرفة فلانه » ، فلانه « تأكل الخبز » ، « وتأكل التين » ، « تضع الصاد على الصاد » ، ترقع « الخرق بالخرق » ، تضرب « الدف بالدف »، تتقى « الترس بالترس» (٣)

أما النوع الثالث من العلاقات الجنسية الشاذةفهى العلاقة غير الشرعية بين الرجل والمرأة وقد أورد الجرجانى بعض التعبيرات المحسنةالتى تصور ذلك مثل : هى لاترد يدلامس ، وفلانة « رقيقة الحافر » ومنه قول الشاعر :

---

(١) ومثال ذلك على سبيل المثال التعبير عن الاستمناء أو الاستمتاع بالكف فلان يجلد عميرة ويقابلة فى الانجليزية To beat the Dummy
انظر المنتخب/ ٣٣ ، والكناية والتعريض / ٩

(٢) انظر A Dictionary of euphemisms, p. 246.
انظر أيضا Ibid., pp. 235-240.

(٣) المنتخب ٣٤ ، ٣٥

لاتحلفن بطـلاق من　　أمست حوافرهـا رقيقة

هيهات قد علم الأنـا　　م بأنها صارت صديقه(١)

كما يذكر الجرجانى أن العامة تقول فلان يستفرخ فى بوجه أى فاسد النساء ومنه قول ابن الرومى :

أنت ياشيخ نائم فتنبه　　وانتصحنى فلست من غشاشك(٢)

لك أنثى تزيف فى كل برج　　وتربى الفراخ فى أعشاشــك

ويذكر أيضا فى باب الكناية تعبيرات تشير إلى قلة غيرة الأزواج ، مثل : فلان « لايمنع الماعون » ، وفلان « الحائط القصير » ، و « قرنان » ومنه قول الشاعر :

تراه تحت الأرض من ذله　　وقرناه فى الأفق الأعلى(٣)

ومما يتصل بهذا المجال من الكلمات المحظورة فى كل لغة الألفاظ التى تشير إلى افرازات الجسم ووظائفه الفسيولوجية مثل : قضاء الحاجة ، واخراج الريح ، وإسهال البطن والقىء وغير ذلك .

---

(١) انظر المنتخب ٩ ، ١٢

(٢) المنتخب / ١٢

(٣) نفس المصدر / ٤٠

ومن هذه التعبيرات المحسنة ماورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « أو جاء أحد كم من الغائط »(١) ، والغائط المكان المطمئن من الأرض ، وكانوا يأتونه تستراً وانتباذا ، ثم كثر فى كلامهم حتى سموا الحدث باسمه ، واشتقوا منه الفعل تغوط(٢) .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى « ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كانا يأكلان الطعام »(٣) ، قال المفسرون يأكلان الطعام كناية عن الحدث ، لأن من أكل فلابد له من عاقبة الأكل ونقض الفضل(٤) .

يذكر الثعالبى الألفاظ والتعبيرات المحسنة التى تشير إلى المكان الذى يقضى فيه الانسان حاجته مثل : « بيت المذهب » « بيت الخلاء » ، و « بيت الراحة » « بيت الحش » ، « والمستراح » ، « والوضاء » كما يذكر أن الأطباء يكنون عن البول بالماء والدليل ، وعن حشو الأمعاء بالطبيعة والبراز ، وعن سيلان الطبيعة بالخلفة والقيام لها باختلاف(٥) .

---

(١) النساء / ٤٣

(٢) الكناية والتعريض / ٢٦

(٣) المائدة / ٧٥

(٤) الكناية والتعريض / ٢٩

(٥) نفس المصدر / ٣١

كتب ممنوعة ونادرة

ويذكر قول العامة فى قضاء الحاجة : له « حاجة لا يقضيها غيره »[١]
تعرف اللغة الإنجليزية وغيرها مثل هذه التعبيرات [٢] ، ومن ذلك

To call for Nature, to make water
Rest Room, Bathroom, Lavatory
Water Clost (W.C.) Toilet
Men's Room, Ladies Room

ويقال تأدباً لمن يعانى الإسهال كم لبست نعلك ، وكم تخطيت إلى باب الكرامة ، وكم سحت سحبك ، وكم أحد برقك ، كما[٣] يكنى الأطباء عن الإسهال بالاستفراغ ، وعن القىء بالتعالج[٤] .

ومن الألفاظ المحسنة فى هذا المجال التى تشير إلى إخراج الريح To breck Wind ، ويقال فى الكناية عن ذلك استطلق وكاؤه، إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: العينان وكاء السه [٤] ، فإذا نامت العينان استطلق الوكاء[٥] .

كتب ممنوعة ونادرة

---

(١) انظر الكناية والتعريض/٢٩
(٢) انظر A Dictionary of Euphemisms, p. 47.
Schlauch : The gift of Language, p. 118.
(٣) انظر المنتخب / ٤٤
(٤) انظر الكناية والتعريض / ٥٤
(٥) الوكاء رباط القربة ، والسه : حلقة الدبر ، وكما أن الوكاء يمنع ما فى القربة أن يخرج كذلك اليقظة تمنع الاست أن تحدث إلا بالاختيار ، وكنى بالعين عن اليقظه انظر اللسان وكى

ويذكر الجرجانى أن الأطباء تكنى عن الضراط الفسو بالفقح[١] ، كما يذكر أن العامة تقول للذى يضرط فلان خثة دارش ، نعله يصر ، يتفرقع ظهره[٢] .

ومما يتصل بهذا المجال أيضا ما ذكره الثعالبى من الكناية عن مرمة البدن[٣] أى ما يذهب بدخول الحمام مثل الحلق وأخذ الشعر ونتف الابط وحلق العانة مما جاء باللفظ المحسن فى قوله تعالى « ثم ليقضوا تفثهم[٤] وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »[٥] ، ويحكى الثعالبى فى ذلك أن سيف الدولة سأل ابن عم له وقد استبطأه أين كنت اليوم وبم شغلت؟! فقال له : أيد الله مولانا ، حلقت رأسى ، وأصلحت شعرى ، وقلمت أظفارى فقال له : لو قلت أخذت من أطرافى كان أوجز وأحسن »[٦] .

---

(١) انظر المنتخب ١٢٠
(٢) نفس المصدر /٤٥
(٣) الكناية والتعريض/ ٥٤
(٤) التفث هو إذهاب الشعث والدرن والوسخ مطلقا وقيل قضاء الحاجة من الحلق والتنظيف وهو قص شعر الرأس ، وحلق العانة ، ونتف الإبط ، وحف الشارب والأخذ بين اللحية وقص الأظفار انظر اللسان تفث
(٥) الحج / ٢٩
(٦) انظر الكناية والتعريض ص ٤٥

أولا - المصادر العربية

ابن الأثير : أبو السعادات ، مجد الدين بن المبارك

النهاية فى غريب الحديث والأثر

تحقيق : محمود الطناحى، طاهر الزاوى القاهرة ١٩٦٣

الأصمعى : أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب

اشتقاق الأسماء

تحقيق : د. رمضان عبد التواب ط الخانجى القاهرة ١٩٨٠

البخارى : أبو عبد الله ، محمد بن أبى الحسن

صحيح البخارى ط دار الشعب ١٩٦٦

التهانوى : محمد على الفاروقى كشاف اصطلاحات الفنون

تحقيق : د. لطفى عبد البديع ط المؤسسة المصرية للتأليف

القاهرة ١٩٦٣

الثعالبى : أبو منصور ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل

الكناية والتعريض وقف على طبعه محمد أمين الخانجى ط ١٩٠٨

فقه اللغة وسر العربية ت مصطفى السقا ط الحلبى ١٩٧٢

تحسين القبيح وتقبيح الحسن ط بغداد ١٩٨١

الجرجانى : أبو العباس ، أحمد بن محمد الجرجانى

المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ط الخانجى ١٩٠٨

الجرجانى : أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحيم الجرجانى

أسرار البلاغة ط بيروت ١٩٨١

كتب ممنوعة و نادرة

ابن رشيق : أبو علي ، الحسن بن علي
العمدة في صناعة الشعر ونقده
تحقيق محيي عبد الحميد ط المكتبة التجارية ١٩٦٣

الزبيدي : أبو الفيض ، محيي الدين السيد محمد مرتضى
تاج العروس من جواهر القاموس ط دار صادر بيروت ١٩٧٥

الزمخشري : أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر
أساس البلاغة ط صادر بيروت ١٩٧٩
الفائق في غريب الحديث والأثر
تحقيق علي الجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط الحلبي ١٩٧٤

ابن سيده : أبو الحسن ، علي بن اسماعيل
المخصص ط بولاق ١٠٢٢

الشريف الرضي: أبو الحسن ، محمد بن أبي أحمد الحسيني
المجازات النبوية تحقيق الزيني ط الحلبي ١٩٦٧

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير
جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط الحلبي ١٩٧٠

العسكري : أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل
الصناعتين الكتابة والشعر ت د مفيد قميحة بيروت ١٩٨٣

ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا
الصاحبي في فقه اللغة ت السيد أحمد صقر الحلبي ١٩٧٧

الفيروزآبادي: مجد الدين ، محمد بن يعقوب
القاموس المحيط ط مكتبة التربية بيروت ١٩٥١

القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد
الجامع لأحكام القرآن ط الهيئة المصرية ١٩٦٧

القلقشندي : أبو العباس ، محمد بن علي
صبح الأعشى ط المؤسسة المصرية ١٩٦٣

ابن منظور : ابن الفضل ، جمال الدين محمد بن المكرم
لسان العرب ط دار صادر بيروت ١٣٧٤

النووي : محيي الدين ، يحيى بن شرف
شرح صحيح مسلم ط دار الشعب ١٩٦٦

كتب ممنوعة ونادرة

ثانيا : المراجع العربية

د. أنيس ، إبراهيم : دلالة الألفاظ القاهرة ١٩٦٣

د. أيوب ، عبد الرحمن : اللغة بين الفرد والمجتمع ترجمة القاهرة ١٩٥٤

د. بشر ، كمال محمد : دور الكلمة فى اللغة ترجمة القاهرة ١٩٦٢

د. حجازى ، محمود فهمى : مدخل إلى علم اللغة القاهرة ١٩٧٨

د. حسام الدين ، كريم زكى : التعبير الاصطلاحى القاهرة ١٩٨٥

د. الحفنى ، محمود : سيرة عنترة القاهرة ١٩٦٤

د. تمام ، حسان : اللغة فى المجتمع ترجمة القاهرة ١٩٥٩

د. حرما ، نايف : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة الكويت ١٩٧٩

د. الخولى ، محمد على : معجم علم اللغة النظرى ط بيروت ١٩٨٠

د. الدواخلى ، عبد الحميد : اللغة ترجمة القاهرة ١٩٥٠

د. الراجحى ، عبده : اللغة وعلوم المجتمع الاسكندرية ١٩٧٧

د. السعران ، محمود : اللغة والمجتمع طرابلس ١٩٨٥

د. شاهين ، عبد الصبور : دراسات لغوية القاهرة ١٩٧٦

د. الصالح ، صبحى : دراسات فى فقه اللغة بيروت ١٩٧٦

د. طحان ، ريمون : الألسنة العربية بيروت ١٩٧٢

كتب ممنوعة ونادرة

د. عبد التواب ، رمضان : فصول فى فقه اللغة القاهرة ١٩٨٠

د. العربى ، صلاح : لغات البشر ترجمة القاهرة ١٩٧٠

د. عمر ، أحمد مختار : علم الدلالة الكويت ١٩٦٢

د. محجوب ، فاطمة : دراسات فى علم الفقه القاهرة ١٩٧٦

د. نجار ، ماجد : نحو علم الترجمة بغداد ١٩٨١

د. وافى ، على عبد الواحد : اللغة والمجتمع القاهرة ١٩٧١

ثالثا — المراجع الأجنبية

Crystal : Linguistics Penguin, London 1973

Freud : Totem & Taboo Pelican Books, London 1940

Guiraud : La Semantique que sais-je Paris 1975

Hartmann : Dictionary of Language & Linguistics London 1965

Hockett : A Course in Modern Linguistics New Yor, 1958

Holt : Phrase and Word Origins New York, 1961

Longmann : Dictionary of English idioms London, 1979

Marouzean : Lexique de la terminologie Linguistique. Paris, 1955

Morris : Dictionary of words & Phrase origins New York, 1962

Neamann : A Dictionary of Euphemisms London, 1983

Oxford : English Dictionary

Palmer : Semantics Cambridge Univ. ress 2nd ed 83

Pei : Glossary of Linguistics terminology New York, 1966

Radford : To Coin aphrase : Dictionary of origins London, 1973

Robert : Dictionnaire de la langue Française Paris, 1973

Schlauch : The gift of Language - New York, 1935

Steiner : Taboo London, 1956

Ullmann : Principles of Semantics 2nd ed Glassgow 1980
: Semantics : A introduction to the science of meaning Oxford, 1981

Webster's : New World Dictionary

كتب ممنوعة ونادرة

فهرس الموضوعات

المقدمة	٧ — ١٠
الباب الأول	
المحظورات اللغوية مفهومها ودوافعها	١١ — ٦٤
الفصل الأول : المحظور اللغوى وتحسين اللفظ	١٣ — ٢٢
الفصل الثانى : المحظور من الأشياء والأفعال	٢٣ — ٣٥
الفصل الثالث : المحظور من الكلام	٣٦ — ٤٥
الفصل الرابع : دوافع تحسين اللفظ ووسائله	٤٦ — ٦٤
الباب الثانى	
المجالات الدلالية للمحظورات اللغوية	٦٥ — ١١٧
الفصل الأول : المفارقات اللغوية	٦٧ — ٧٣
الفصل الثانى : المعتقدات والعادات	٧٤ — ٩٤
الفصل الثالث : المرض والموت	٩٥ — ١٠١
الفصل الرابع : الأمور الجنسية	١٠٢ — ١١٧
المصادر والمراجع العربية والأجنبية	١١٩ — ١٢٣

كتب ممنوعة ونادرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف